كِتَابُ
ضِيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ

تَأْلِيفُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ بْنِ فُودِي

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ والصلاة والسلام علي سيد المرسلين وعلي آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا الْكِتَابُ ضِيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ، وَهِيَ قِسْمَانِ: عِلْمُ مُعَامَلَةٍ وَعِلْمُ مُكَاشَفَةٍ.

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الْمُعَامَلَةُ، وَمِنْهُ فَرْضُ عَيْنٍ وَفَرْضُ كِفَايَةٍ:

وَفَرْضُ الْعَيْنِ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: إِعْتِقَادٌ، وَعَمَلٌ، وَتَرْكٌ فَإِذَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ صَحْوَةً أَوْ أَسْلَمَ فَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَيْهِ تَعَلُّمُ كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ وَفَهْمُ مَعْنَاهَا «لَا إِلَهَ إِلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله» أَيْ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا الله أُرْسِلَ إِلَيْنَا مُحَمَّدًا ﷺ فَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ فَمَنْ أَطَاعَ الله وَرَسُولَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ عَصَاهُ فَلَهُ النَّارُ فَإِنْ عَاشَ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَلُّمُ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَمَا لَا تَصِحُّ إِلا بِهَا الْفَاتِحَةُ وَكَذَا بَقِيَّةُ الصَّلَوَاتِ، وَإِنْ عَاشَ إِلَى رَمَضَانَ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَلُّمُ الصَّوْمِ وَهُوَ أَنَّ وَقْتَهُ مِنَ الصُّبْحِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ وَإِنَّ الْوَاجِبَ فِيهِ، النِّيَّةُ وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ وَأَنَّ ذَلِكَ يَتَمَادَى إِلَى رُؤْيَةِ الْهِلَالِ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ لَزِمَهُ تَعَلُّمُ مَا يَجِبُ مِنَ الزَّكَاةِ عَلَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلا إِبِلٌ لَمْ تَلْزَمْهُ تَعَلُّمُ زَكَاةِ الْغَنَمِ مَثَلًا وَكَذَا فِي سَائِرِ الْأَصْنَافِ، فَإِذَا دَخَلَ شَهْرُ الْحَجِّ وَكَانَ مستطيعا لَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ لَزِمَهُ تَعَلُّمُ كَيْفِيَّةِ الْحَجِّ وَلَمْ يَلْزَمْهُ إِلا تَعَلُّمُ أَرْكَانِهِ وَوَاجِبَاتِهِ دُونَ نَوَافِلِهِ كَمَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ الله وَكَذَا التَّدْرِيجُ فِي عِلْمِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ فَرْضُ عَيْنٍ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ إِذْ لَا يَجُوزُ لِلْمُكَلَّفِ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلًا حَتَّى يَعْلَمَ حُكْمَ الله فِيهِ وَيَسْأَلُ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمُ الْمُتَّبِعِينَ لِسُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ.

وَأَمَا التَّرْكُ فَيَجِبُ عَلَيْهِ بِحَسْبِ مَا يَقْتَضِيهِ حَالُهُ فَمَا كَانَ مُلَابِسًا بِهِ يَجُبُ تَنْبِيهُهُ عَلَيهِ أَنْ لَمْ يَجزْ كَأَنْ يَكُوْنَ عِنْدَ الْبُلُوغِ أَوْ الْإِسْلَامِ لَابِسًا لِلْحَرِيرِ أَوْ الذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ أَوْ جَالِسًا فِي مَكَان مَغْصُوبٍ أَوْ نَاظِرًا إِلَى مُحْرِمٍ أَوْ مُسْتَمِعًا لِلْحَرَام، فَيَجُبُ تَعْلِيمُهُ ذَلِكَ وَاجْتِنَابِهِ وَكَذَا مَا كَانَ بِصَدَدِهِ كَمَنْ كَانَ فِي بَلَد غلب عَلِيَ أَهْلهُ أَكُلُ الْحَرَامِ كَالْمَيتَةِ وَالْمَكْسِ والغصوبات فَيَجُبُ تَعْلِيمُهُ ذَلِكَ وَتَنْبِيهِهِ عَلَيهِ وَمَا وَجَبُ تَعْلِيمهُ وَجَب عَلَيهِ تَعَلُّمهُ، وَأَمَا الاعْتِقَاد فَيَجِبُ عَلَيْهُ بَعْدَ إِعْتِقَادهُ مُعْنَى الشهادتين عَلْم مَا يَخْطُرُ فِي قُلْبهُ مِمَّا يَزْيَلَ ذَلِكَ فَإِنْ خَطرَ لَهُ شَكٌّ فِي الْمَعَانِي الَّتِي تَدِلَّ عَلَيهَا كَلْمَتَا الشَّهَادَةَ وَجُبَ عَلَيهِ تَعَلُّم مَا يَزْيَلَ الشَّكُّ وَكَذَا فِي جَمِيعَ مَا يَخْطُرُ وَكَذَا يَجِبُ عَلَيْهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَالَا يَنْفَكَ بُشْرٌ عَنهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةَ كَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَنَحوهُمَا مِمَّا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ وَأَمَّا فَرْض الْكِفَايَةِ فَهُوَ مَا وَرَاءُ هَذَا مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالله أَعْلَمُ.

فَصْلٌ فِي الْمَعَانِي الَّتِي تَضَمْنَهَا كَلِمَتَا الشَّهَادَة جُمْلَةً:

هِي أَرْبَعَةُ معان: إِثْبَاتُ ذَاتُ الله، وَإِثْبَاتَ صفاته، وَإِثْبَات أفعَالِهِ، وَإِثْبَات صُدُق الرُّسُلِ، وَفِي مَعْرِفَة الذات الْعَلْمَ بِوُجُودِ الله وَقَدَمِهِ وَبَقَائِهِ وَمُخَالَفَتِهِ لِلْخُلْقِ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَلَا بِجِسْمٍ وَلَا عُرْضٌ وَلَيْس فِي جِهَةٍ وَلَا مَكَانٌ وَأَنَّهُ وَاحِدٌ وَأَنَّهُ مَرْئِي فِي الْآخِرَة، وَفِي مَعْرِفَة الصِّفَاتِ الْعِلْمَ بِكَوْنِهِ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا مُرِيدًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا مُنَزَّهَا عَلِيَ نُقْصُ قَدِيم الْعَلْم وَالْكَلَامِ وَالْإِدَارَةِ وَالْقدرةِ وَالْحَيَاةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَجَمِيعَ الصِّفَاتِ، وَفِي مَعْرِفَة الْأَفعَالِ بِأَنَّهُ لَيسَ فِي الْوُجُودِ إلا الله وَأَفْعَالِهِ وَالْخَلْقِ وَأَفعَالِهِمْ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ خَلْق الله لَا تَأْثِيرُ لِشَيْءٍ إلا الله وَأَنَّهُ متفضل عَلِيَ الْخُلْقُ فِي جَمِيعَ مَا يَفْعَلُ لِهُمْ لَا يَجِبُ عَلَيْهُ شَيْءٍ وَأَنَّ نُبُوَّة الأنبياء ﷺ ثَبَتَتِ بِالْمُعْجِزَاتِ وَهِي مِنْ أَفعَالِ الله الدَّالَّةِ عَلِيَ تَصْدِيقُهُ إِيَّاهُمْ، وَفِي مَعْرِفَة صَدَق

الرَّسُولُ الْعَلَمَ بِصُدُقٍ وَجَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ السَّمْعِيَاتِ كَعَذَابِ الْقَبْرِ وَسُؤَالِ مُنْكِرٍ وَنَكِيرٍ فِيهِ وَالنُّشُرَ لِعَيْنَ هَذِهِ الأَبدَانَ الْمَدْفُونَةَ وَالْحَشْرَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَالْمِيزَانَ وَالصِّرَاطَ وَأَخذَ الْكُتُبِ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَأَحْكَامُ الإِمَامَةِ وَفُضْلِ الصَّحَابَةِ رِضْوانُ الله عَلَيْهِمْ.

خَاتِمَةٌ: ينبغي لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَطْهُرَ نَفْسهُ مِنَ الرَّذَائِلِ كَالْغَضَبِ واتباع الشَّهَوَاتَ وَالْحِقدَ وَالْحُسَدَ وَالْكِبْرَ مِمَّا يَأْتِي وَأَنْ يُقَلِّلَ أَشْغَالَ الدُّنْيَا وَأَلا يتكبّرَ عَلِيِّ الْعِلْمِ وَأَنْ يَسْتَعِينَ عَلَيْهِ بِالْعَمَلِ بِهِ وَأَنْ يَقْصِدَ بِعَلْمِهِ امتثَالِ الأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي وَالْقُرْبِ مِنَ اللهِ لَا الرياسة وَالْمَالَ، وينبغي لِلْمُعَلِّمِ أَنَّهُ يَعْلَمُ لِوَجْهِ الله اقْتِدَاءِ بِصَاحِبِ الشَّرْعِ لَا لِغَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا كَالْمَالِ وَالْجَاهِ وَأَنْ يَكُونَ مُشْفِقًا عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ نَاصِحًا لَهُمْ زَاجِرًا لَهُمْ عَنْ سُوءِ الأَخلاقِ كَلَا عُلِيِّ قَدْرُ فَهْمهُ بِمَا يليق بِهِ عَامِلًا بِعَلْمِهِ عَادِلًا بَيْنَهُمْ لا يَظْهَرَ الْمَيْلُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ إلا لِسُبْبَ شَرْعِي محقرا لِلدُّنْيَا كَثِيرِ الْعِنَايَةِ بِعِلْمِ الآخِرَةِ وَلَا يُخَالِفَ فُعْلُهُ قَوْلَهُ غَيْرِ مَائِلٍ إِلَى التَّرَفُّهِ فِي الْمُطْعِمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمُلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ مُنْقَبِضًا عَنِ السَّلاَطِينِ وَأَعْوَانِهِمْ مَا وَجْدُ سَبِيلًا إِلَى الْفِرَارِ عَنهُمْ وَأَنْ لا يَتَسَارَعُ إِلَى الْفَتْوَى وَنَحوِهَا مَا وَجْدٌ إِلَى الْخلاصِ سَبِيلًا وَأَنْ يَكُونَ كَثِيرُ الْمُرَاقَبَةِ لِلْقُلْبِ وَالْمُجَاهَدَةِ قَوِيَّ الْيَقِينُ فِي التَّوْحِيدِ وَضُمَّان الله لِلرِّزْقِ حَزِينًا مُطْرِقًا خَاشِعًا صَامِتًا مُتَعَمِّدًا فِي علومه عُلِيَ بَصِيرَةٌ لَهُ شَدِيدُ التَّوَقِّي مِنْ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ وَالَّتِي أَتفِقَ عَلَيهَا الْجُمْهُورَ فَهَذِهِ صِفَاتُ عُلَمَاءُ الآخِرَةِ فَكُنَّ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ إِمَّا مُتَّصِفًا بِهَا أَوْ متعرفا بِالتَّقْصِيرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ الثَّالِثُ فَتَلْبِسُ عِلِّيُ نَفْسكَ فَتَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ عَصَمَنَا اللهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

فَصْلٌ فِي الطَّهَارَةِ وَأَسْرَارِهَا:

وَمَرَاتِبُ الطَّهَارَةِ أَرْبَعٌ:

الْأَوَّلُ: تَطْهِيرُ الظَّاهِرِ عَنِ الْأَحْدَاثِ والأخباث.

الثَّانِيَةُ: تَطْهِيرُ الْجَوَارِحِ عَنِ الْجَرَائِمِ.

الثَّالِثَةُ: تَطْهِيرُ الْقَلْبِ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ.

الرَّابِعَةُ: تَطْهِيرُ السِّرِّ عَمَّا سُوِّيَ اللهُ فَكَلَّمَا قُمْتِ إِلَى تَطْهِيرِ الظَّاهِرِ تُذَكِّرُ تَطْهِيرُ الْجَوَارِحِ عَنِ الْإِثْمِ وَتَطْهِيرِ الْقَلْبِ عَنِ الرَّذَائِلِ وَتَطْهِيرِ السِّرِّ عَنْ غَيْرِ اللهِ مَا اسْتَطَعْتِ، طَهَارَةُ الْحَدَثِ هُوَ الْوُضُوءِ وَالْغَسْلِ وَالتَّيَمُّمِ. وَكَيْفِيَّةُ الْوُضُوءِ: أَنْ يَغْسِلَ المتوضا يَدِيْهُ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُمَا فِي الْإِنَاءِ نَاوِيًا رَفْعِ الْحَدَثِ أَوْ اسْتِبَاحَةِ الصَّلَاةِ، ثُمَّ يُدِيمَ النِّيَّةُ إِلَى غَسْلِ الْوَجْهِ، ثُمَّ يَأْخُذَ غُرْفَةً بِيَمِينِهُ فَيَمَضْمِضُ بِهَا ثَلَاثًا وَيُبَالِغُ إِنْ لَمْ يَكِنْ صَائِمًا، ثُمَّ يَأْخُذَ غُرْفَةً يَسْتَنْشِقُ ثَلَاثًا ويستنثر، ثُمَّ يَغْتَرِفَ غُرْفَةً فَيَغْسِلَ وَجْهُهُ مِنَ الْجَبْهَةِ إِلَى مُنْتَهِي الذَّقَنِ وَمِنَ الْأُذُنِ يَغْسِلِ لِحَيَّةِ خَفِيفَةٍ ثَلَاثًا مَعَ غَسْلِ الْوَتَرَةِ، ثُمَّ يُغْسَلُ يَدِيْهُ إِلَى مَرْفِقَيْهِ ثَلَاثًا بتخليل أَصَابِعَهُمَا، ثُمَّ يُمْسَحَ رَأْسَهُ جَمِيعًا بَلْصَقُ رُؤُوسَ الْيُمْنَى بِرُؤُوسِ أَصَابِعِ الْيُسْرَى وَيَضَعُهُمَا عَلِيٍّ مُقَدَّمُ الرَّأْسِ وَيُمِرُّهُمَا إِلَى الْقَفَا، ثُمَّ يَرُدُّهُمَا إِلَى الْمُقَدَّمِ، ثُمَّ يَمْسَحَ أُذُنِيْهُ ظَاهِرُهُمَا وَبَاطِنُهُمَا، ثُمَّ يُغْسَلْ رِجْلِيُّهُ بَادِيًا بِالْيُمْنَى فَالْيُسْرَى مُخَلِّلًا أَصَابِعِهِمَا مِنْ أَسْفَلِ يَبْدَأُ بِالْخِنْصَرِ مِنَ الرِّجْلِ الْيُمْنَى وَيَخْتِمُ بِالْخِنْصَرِ مِنَ الْيُسْرَى، ثُمَّ يَرْفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُمَّ أَجْعَلَنِي مِنَ التَّوَابِيْنِ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المتطهرين، وَاجْعَلْنِي مِنْ عُبَّادِكَ الصَّالِحِينَ.

وَكَيْفِيَّةُ الْغُسْلِ: وَهِيَ أَنْ يَضَعَ الْإِنَاءُ عَنْ يَمِينِهُ وَيُغْسَلُ يَدِيْهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَسْتَنْجِي وَيُزِيلَ النَّجَاسَةُ عَنْ بُدْنِهُ إِنْ كَانَتْ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَضُوءُهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يَصُبُّ الْمَاءُ عَلَيَّ رَأْسُهُ غَاسِلًا ثَلَاثًا، ثُمَّ شِقَّهُ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ الْأَيْسَرَ مُتَدَلِّكًا فِي ذَلِكَ يَدْلُكُ مَا أَقْبَلَ مِنْ

بُدْنهُ وَمَا أَدبرَ وَيَدْلُكَ لِحْيَتَهُ لِيَصِلَ الْمَاءُ تَحْتَهَا وَلَوْ كَثِيفًا وَيَتَعَهَّدَ مَعَاطِفَ الْبُدْنِ مُتَّقِيًا عَنْ مَسِّ الذَّكَرِ فَإِنْ مَسَّهُ أَعَادَ الْوَضُوءِ فَقَطْ.

وَكَيْفِيَّةُ التَّيَمُّمِ: فَمِنْ تَعَذُّرِ عَلَيهِ اِسْتِعْمَال الْمَاءِ لِفَقْدِهِ أَوْ لِمَانِعِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ كَسَبُعٍ أَوْ لِاحْتِيَاجِهِ لِعَطَشٍ أَوْ بِجِرَاحٍ بِهِ أَوْ مَرَضٍ يَخَافَ مِنَ اِسْتِعْمَالِهِ فَسَادَ الْعُضْوِ أَوْ شِدَّةَ الضنا أَوْ تَأَخُّرَ برء فَلْيَصْبِرْ حَتَّى يَدْخُلَ الْوَقْتُ ثُمَّ يَقْصِدَ صَعِيدًا طَاهِرًا يَضَعَ عَلَيهِ كَفِيهُ ضَامًّا بَيْنَ أَصَابِعهُ وَيَمْسَحُ بِهِمَا جَمِيعَ وَجْهِهُ مَرَّةً وَاحِدَةٍ نَاوِيًا اِسْتِبَاحَةِ الصَّلَاةِ بِذَكَرٍ وَيَكْفِي غَالِبُ الظَّنِّ فِي الْاسْتِيعَابِ ثُمَّ يَضَعَهُمَا ثَانِيَةً وَيَمْسَحَ الْيُمْنَى مِنَ الْيَدَيْنِ بِالْيُسْرَى إِلَى الْمُرَافِقِ وَيُخَلِّلُ أَصَابِعَهُ. وَأَمَا طَهَارَةَ الْخَبَثِ: فَهِي إِزَالَةُ النَّجَاسَةِ عَنْ ثَوْبِ الْمُصَلِّي وَبَدَنَهُ وَمَكَانُهُ الَّذِي تَمَسَّ أَعْضَاؤُهُ إِذَا ذُكِرَ وَقَدْرُ وَاللهُ أَعْلَم. خَاتِمَةٌ: ينبغي التَّنْظِيفَ مِنَ الْفَضَلَاتِ الظَّاهِرَةَ كَإِزَالَةِ الْأَوْسَاخِ بِالْمَاءِ وَالشُّعَبِ بِالدُّهْنِ وترجيل الشَّعْرَ وَإِزَالَةُ مَا يَجْتَمِعَ عَلِيِّ الْأَسْنَانِ وَأَطْرَافِ اللِّسَانِ مِنَ الْقَلَحِ وَيُزِيلُهُ السِّوَاكُ مَعَ الْمَضْمَضَةِ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَنَتْفِ الْإِبِطِ وَقَلَمِ الْأَظَافِرِ وَحَلِقَ الْعَانَةُ وَنَحوُ ذَلِكَ وَالله أَعْلَمِ.

فصلٌ في الصلاة وأسرارها:

وَاِعْلَمْ أَنَّ الصَّلَاةَ هِي عِمَادُ الدِّينِ فَمَنْ أَقَامَهَا أَقَامَ الدِّينَ وَمِنْ تَرَكِهَا فَقَدْ هُدِمَ الدِّينُ وَمِنْ إِقَامَتِهَا الْأَذَانِ لَهَا وَإِتْمَامُ أَرْكَانِهَا وَإِيقَاعِهَا فِي الْوَقْتِ وَفِي الْجَمَاعَةِ وَفِي الْمَسْجِدِ وَرِعَايَةِ الْخُشُوعِ فِيهَا وَمِنْ فَرِغَ مَنِ الْوُضُوءِ وَطَهَارَةِ الْخَبَثِ وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ فَلْيَقُمْ إِلَى الصَّلَاةِ مُنْتَصِبًا مُتَوَجِّهًا إِلَى الْقِبْلَةِ مزاوجا بَيْنَ قَدَمَيْهِ لَا يَضُمُّهُمَا مُتَذَكِّرًا أَنَّهُ قَائِم بَيْنَ يَدَيْ الله تَعَالَى يُرِيدَ مُنَاجَاتُهُ فَيَحْضُرَ قَلْبُهُ وَيَنْوِي أَدَاءُ الْفَرِيضَةِ الْمُعِينَةِ يَسْتَدِيمُ نِيَّتُهُ إِلَى آخِرِ التَّكْبِيرِ يَقُولُ اللهُ أَكْبَر رَافِعًا يَدِيهُ حَذْوُ مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةُ بِتَمَام شَدَّاتِهَا وَحُرُوفِهَا وَيَجْتَهِدُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ وَيَقُولُ آمِينَ فِي آخرها يَجْهَرَ الْقِرَاءَةُ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعَشَاءِ وَيُسْر فِي غَيْرِهَا ثُمَّ يَقْرَأُ

السُّورَةُ أَوْ قَدْ ثَلَاث آيات مِنَ الْقُرْآنِ فَمَا فَوْقَهَا ثُمَّ يَرْكَعُ بِالتَّكْبِيرِ إِلَى اِنْتِهَاء الرُّكُوعِ يَضَعُ راحتيه عَلِيّ ركبتيه نَاصِبًا لِهُمَا وَيُسَوِّيَ ظَهْرُهُ مجافيا مَرْفِقَيْه على جَنْبَيْهِ إِنْ كَانَ رَجُلًا وَتَنْضَمّ الْمَرْأَةُ فِي جَمِيعَ صَلَاتِهَا قَائِلًا سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا ثُمَّ يَرْفَعَ رَأْسَهُ مَنِ الرُّكوعَ بَعْدَ الطُّمَأْنِينَةِ قَائِلًا سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمْدَهُ فَيَطْمَئِنُ قَائِلًا اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدَ إِنْ كَانَ فَذا أَوْ ماموما ثُمَّ يَهْوِي إِلَى السُّجُودِ بِتَكْبِيرِ فَيَضَعُ ركبتيه عَلَى الْأَرْضِ وَجَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ وَكَفِيهُ مَكْشُوفَاتُ عَلِيِّ الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ فَيَطْمَئِنُ جَالِسًا مُعْتَدِلًا ثُمَّ يَقُوْلُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا فَيَطْمَئِنَ مُعْتَدِلًا عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى نَاصِبًا قَدم الْيُمْنَى وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَالْأَصَابِعُ مَنْشُورَةٌ ثُمَّ يَأْتِي بِالسَّجدةِ الثَّانِيَةِ مِثْلُ الْأَوْلِيَ يَتَشَهَّدُ وَيُصَلِّيَ عَلِيَّ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَفْعَلُ فِي بَقِيَّةِ الصَّلَاةِ كَمَا ذَكَرْنَا ثُمَّ يَتَشَهَّدُ ثُمَّ يَسْلِمَ بِقَولُهُ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَيَجْزِمَ السَّلَامْ وَلَا يَمُدُّهُ وَتَمْيِيزُ فَرَائِض الصَّلَاةِ وَسَنَنِهَا وَفَضَائِلِهَا مَذْكُورَةِ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ فَمَقْصُودِنَا مَا لَا بُدَّ مِنهُ. وَمِنْ كَانَ إِمَامًا يَنبغي أَلَا يَتَقَدَّمَ عَلِيِّ قَوْمٍ يَكْرَهُونَ إِمَامَتَهُ وَيَرَاعِيَ أَوَّلَ الْأَوْقَاتِ وَيَؤُمُّ لِوَجْهِ الله لِأَدَائِهِ أَمَانَةَ الله وَيُسَوِّيَ الصُّفُوفُ ثُمَّ يَكَبِّرُ وَيَرْفَعَ صَوْتَهُ بِتَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ وَغَيْرِهَا لِيَسْمَعَ النَّاسُ بِنَفْسهُ وَيَسْتَغْنِي عَنِ الْمَسْمعِ وَيُخَفِّفْ صَلَاتُهُ وَيَتمُ أَرْكَانِهَا رَفِقًا لِمِنْ وَرَاءِهُ وَكُلُّ ذَلِكَ فِي الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ وَهِي رَوَاتِبُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ رَكَعَتَا الْفَجْرَ لِلصُّبْحِ سِتّ لِلظُّهْرِ أَرْبَع قَبِلِهَا وَاِثْنَتَانِ بَعْدهَا، أَرْبَع لِلْعَصْرِ قُبْلَهَا وَرَكَعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَثَلَاث عَشْر بَعْدَ الْعَشَاءِ وآخرها الْوَتَرَ، وَإِحْيَاء مَا بَيْنَ الْعَشَاءَيْنِ مَطْلُوبٌ، وَكَذَا التَّهَجُّدِ وَالضُّحَى وَأَقَلُّهَا أَرْبَع وَأَكْثَرُهَا ثَمَان رَكْعَاتُ وَصَلَاةُ الْعِيدَيْنِ وَكُسُوف الشَّمْسِ وَخُسُوف الْقَمَرِ وَالْاِسْتِسْقَاءِ وَالْجَنَائِزِ وَتَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ وَغَيْر ذَلِكَ.

خَاتِمَةٌ: فِيمَا تَتِمُّ بِهِ حَيَاةُ الصَّلَاةِ وَهُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ فِيمَا هُوَ بِهِ ثُمَّ تَفَهُّمُ مَعْنَاهُ، ثُمَّ تَعْظِيمُ الْمُخَاطَبِ فِيهَا ثُمَّ الْهَيْبَةُ لَهُ، ثُمَّ رَجَاءُ مَبَرَّتِهِ ثُمَّ حَيَاؤُهُ اسْتِشْعَارًا لِلتَّقْصِيرِ مَعَ تَوَهُّمِ الذَّنْبِ وَكُلُّ ذَلِكَ مَعَ دَفْعِ الْخَوَاطِرِ الْمَانِعَةِ مِنَ الْحُضُورِ مَا اسْتَطَاعَ.

فصل في الزكاة وأسرارها

وهي أحد أركان الإسلام وأخت الصلاة تجب على كل حر مسلم وإن صبيا ومجنونا في الأنعام الإبل والبقر والغنم بكمال النصاب والملك والحول لكن حول النتاج حول الأمهات في كل خمس من الإبل ضائنة جذع أو جذعة ذو سنة أو ثنية من المعز دخلت في الثانية إلى خمس وعشرين ففيها بنت مخاض دخلت في الثانية فإن لم تكن فابن لبون دخل الثالثة إلى ست وثلاثين ففيها بنت لبون إلى ست وأربعين ففيها حقة دخلت في الرابعة إلى إحدى وستين جذعة إلى ست وسبعين ففيها بنتا لبون إلى إحدى تسعين ففيها حقتان إلى مائة وإحدى عشرين فإذا صارت مائة وثلاثين ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون. وأما البقر ففي ثلاثين منها تبيع دخل في الثانية إلى أربعين فمسنة دخلت في الرابعة إلى ستين فتبيعان ثم بعد ذلك في كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع. وأما الغنم ففي أربعين منها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز إلى مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتين واحدة ففيها ثلاث شياة إلى أربع مائة ففيها أربع ثم في كل مائة شاة. وزكاة الخليطين كزكاة المالك الواحد أن ملك كل نصابا، وفي العشرات وهي الحبوب والثمر والزبيب فيجب فيها العشر إن بلغت خمسة أوسق والوسق ستون صاعا وإن سقيت بآلة فنصف العشر بعد الإفراك في الحب والطيب في التمر والزبيب. وفي الذهب والفضة ونصاب الذهب عشرون دينارا ونصاب الفضة مائتا درهم وفي كل ربع العشر وما زاد فبحسابه، وتجب في النبر والحلي المحرم لا المباح، وفي الركاز وهو دفن الجاهلية أن كان عينا فعلى واجده الخمس ولا يعتبر النصاب، وفي المعدن للذهب والفضة ففيه ربع العشر بعد تصفيته وكمال النصاب. وفي زكاة الفطر وهي واجبة على كل مسلم فضل عن قوته وقوت عياله يوم الفطر وليلته صاع من غالب قوت البلد ويجب أن ينوي المزكي بقلبه أداء الفرض وألا يؤخرها بعد الوقت وألا ينقلها إلى بلد آخر إن كان ببلدها مستحق إلا أن يكون من غير أحوج فينقل إليهم بعضها بالنظر.

خَاتِمَةٌ: يَنبغي للمزكي أَنْ يُسِرَّ أَدَاءَ زَكَاتِهِ إِنْ أَمِنَ التُّهْمَةَ وَخَافَ الرياء وَأَنْ يَظْهَرَهَا إِنْ كَانَ الإِظْهَارُ يُرَغِّبُ النَّاسَ فِي الاقْتِدَاءِ وَأَلَّا يُفْسِدُهَا بِالْمَنِّ وَالأَذَى وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ فِي قَلْبِهِ مَا أُعطِي خوفًا لِلْعُجْبِ وَأَنْ يُعطِيَهَا مِنْ أَجْوَدِ مَالِهِ وَأَحَبَّهُ إِلَيْهِ يَطْلُبَ تَقِيًّا مُعْرِضًا عَنِ الدُّنْيَا مُتَجَرِّدًا لِلآخِرَةِ صَادِقًا فِي تقواه وَعَمَلُهُ لَا يَبُثُّ شَكْوَاهُ مُعِيلًا أَوْ مَحْبُوسًا بِمَرَضٍ أَوْ سَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ قَرِيبًا لَهُ مِنْ ذَوِي الأَرْحَامِ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ الْفقرَاء وَالْمسَاكِينَ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ والغارمين وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وينبغي أَلَا يَخْلُوَ مِنْ صدقةِ التَّطَوُّعِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبَةٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إلا طَيِّبًا لِيَكُونَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صدقتُهُ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَصْلٌ فِي الصَّوْمِ وَأَسْرَارِهِ، وَوَاجِبَاتُهُ ثَلَاثَةٌ:

الأَوَّلُ: مُرَاقَبَةُ أَوَّلِ الشَّهْرِ حَتَّى بِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ وَاسْتِكْمَالِ شَعْبَانِ ثَلَاثِينَ.

خَاتِمَةٌ: يَتَأَكَّدُ الصَّوْمُ فِي التِّسْعَةِ أَوَّلَ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ وَأُخْرَى آخرها وَفِي الْعَشْرَةِ الأُولَى مِنَ الْمُحْرِمِ وَأُخْرَى الْعَاشِرِ وَصُوْمِ ثَلَاثَةٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَيَوْمِ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

الثَّالِثُ: تُرِكَ إِيصَالُ شَيْءٍ إِلَى الْجَوْفِ بِالأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالسَّعُوطِ وَالْحقْنَةِ وَتَرْكِ الْجِمَاعِ وَإِخْرَاجِ الْمَنِيِّ بِأَيِّ وَجْهٍ وَإِخْرَاجِ الْقَيْءِ، وَيَسْتَحِبُّ فِيهِ تَعْجِيلِ الْفِطْرِ وَتَأْخِيرِ السَّحُورِ وتكثيرِ الْجُودِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَكَفِّ اللِّسَانِ عَنِ الْمُبَاحِ وَكَفِّ الْقَلْبِ عَنِ الأَفْكَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَكُلِّ مَا يَشْغَلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَدَمِ تكْثِيرِ الْحُلَالِ عِنْدَ الإِفْطَارِ.

خَاتِمَةٌ: يَتَأَكَّدُ الصَّوْمُ فِي التِّسْعَةِ الأُوَلِ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ وَأُخْرَى آخِرَهَا وَفِي الْعَشَرَةِ الأُولَى مِنَ الْمُحَرَّمِ وَأُخْرَى الْعَاشِرِ وَصَوْمُ ثَلَاثَةٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَيَوْمِ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَصْلٌ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَأَسْرَارِهِمَا :

الأَوَّلُ: الإِحْرَامُ فَمِنْ تَرْكِهِ فَاتَهُ الْحَجُّ وَلَا يَتَرَتَّبُ بِتَرْكِهِ شَيْءٍ.

الثَّانِي: السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمروَةِ.

الثَّالِثُ: طَوَافُ الإِفَاضَةِ فَمَنْ تَرَكَهُمَا لَا يُفَوِّتُهُ الْحَجُّ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَتَحَلَّلَ مِنْ إِحْرَامِهِ إِلا بِفِعْلِ كُلُّ مِنهُمَا وَلَوْ سَارَ إِلَى أَقْصَى الْمُشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى مَكَّةِ لِيَفْعَلَهُ.

وَالْحَجُّ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ وَشَرْطِ صِحَّتِهِ الْوَقْتِ وَالإِسْلَامِ فَيَصِحُّ مِنَ الصَّبِيِّ وَيُحْرِمُ بِنَفْسهُ إِنْ كَانَ مُمَيِّزًا وَيَحْرِمُ عَنهُ أَنْ كَانَ صَغِيرًا وَلَا يَسْقَطُ حَجَّةَ الإِسْلَامِ، وَوَقْتهُ شَوَّال وَذُو الْقعدةِ وَعُشْرِ مَنْ ذِي الْحَجَّةِ وَوَقْتَ الْعمرةِ جَمِيعَ السَّنَةِ، وَشُرُوط وُقُوعِهِ عَنْ حَجَّةَ الإِسْلَامِ، «الإِسْلَامَ، وَالْحَرِيَّةَ، وَالْبُلُوغَ، وَالْعُقْلَ، وَالْوَقْتَ، وَيُزَادُ لُزُومُهُ الاسْتِطَاعَةِ»، وَأَرْكَانهُ الَّتِي لا يُصِحُّ بِدُونهَا وَلَا يَجْبُرُ تَرْكُهَا بِالْهَدْي أَرْبَعَةٌ:

الرَّابِعُ: الْوُقُوفُ بِعرفةِ لَيْلَةِ الأَضحَى فَمَنْ فَاتَهُ فَاتَهُ الْحَجُّ لَكُنَّ يُؤَمَّرَ بِالتَّحْلِيلِ بِأَفْعَالِ الْعمرةِ وَالْقَضَاءِ فِي قَابِلِ.

وَأَمَا الْوَاجِبَاتِ الَّتِي يَجْبُرُهَا الْهَدْي فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ عَاشِر فِي مَنْظُومَتِهِ بِقَولهُ:

وَالْوَاجِبَاتُ غَيْرُ الأَرْكَانِ بِدَمْ ... قَدْ جُبِرَتْ مِنْهَا طَوَافُ مَنْ قَدَمْ
وَوَصْلُهُ بِالسَّعْيِ مَشْيٌ فِيهِمَا ... وَرَكْعَتَا الطَّوَافِ أَنْ تَحَتَّمَا
نُـزُولُ مُـزْدَلَـفِ فِي رُجُوعِنَا ... مَبِيتُ لَيْلَاتٍ ثَلَاثٍ بِمِنَى
إِحْرَامُ مِيقَاتٍ فَذُو الْحُلَيْفَةْ ... لِطَيْبَ لِلشَّامِ وَمِصْرَ الْجُحْفَةْ
قَرْنٌ لِنَجْدِ ذَاتُ عِرْقٍ لِلْعِرَاقْ ... يَلَمْلَمُ الْيَمَنِ آتِيهَا وِفَاقْ
تَجَرُّدٌ مِنَ الْمَخِيطِ تَلْبِيَةْ ... وَالْحَلْقُ مَعْ رَمْيِ الْجِمَارِ تَوْفِيَةْ

وَأَمَّا مَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ فَقَدْ بَيَّنَهَا ابْنُ عَاشِرٍ بِقَوْلِهِ:

وَمَنَعَ الْإِحْرَامُ صَيْدَ الْبَرِّ ... فِي قَتْلِهِ الْجَزَاءُ لَا كَالْفَأْرِ
وَعَقْرَبٍ مَعْ الْحِدَا كَلْبٍ عَقُورْ ... وَحَيَّةٍ مَعَ الْغُرَابِ إِذْ يَجُورْ
وَمَنَعَ الْمُحِيطَ بِالْعُضْوِ وَلَوْ ... بِنَسْجٍ أَوْ عَقْدٍ كَخَاتَمٍ حَكَوْا
وَالسَّتْرَ لِلْوَجْهِ أَوِ الرَّأْسِ بِمَا ... يُعَدُّ سَاتِرًا وَلَكِنْ إِنَّمَا
تَمْنَعُ الْأُنْثَى لُبْسَ قُفَّازٍ كَذَا ... سَتْرٌ لِوَجْهِهِ لَا لِسَتْرٍ أُخِذَا
وَمَنَعَ الطِّيبَ وَدُهْنًا وَضَرَرْ ... قَمْلٍ وَإِلْقَا وَسَخٍ ظُفْرٍ شَعَرْ
وَيَفْتَدِي لِفِعْلِ بَعْضِ مَا ذُكِرْ ... مِنَ الْمُحِيطِ لِهُنَا وَإِنْ عُذِرْ
وَمَنَعَ النِّسَا وَأَفْسَدَ الْجِمَاعْ ... إِلَى الْإِفَاضَةِ يُبْقَى الِامْتِنَاعْ
كَالصَّيْدِ ثُمَّ بَاقِي مَا قَدْ مُنِعَا ... بِالْجَمْرَةِ الْأُولَى يَحِلُّ فَاسْمَعَا

وَأَمَّا صِفَةُ الْحَجِّ قَدْ بَيَّنَهَا بِقَوْلِهِ:

وَإِنْ تُرِدْ تَرْتِيبَ حَجِّكَ اسْمَعَا ... بَيَانَهُ وَالذِّهْنَ مِنْكَ اسْتَجْمِعَا
إِنْ جِئْتَ رَابِغًا تَنَظَّفْ وَاغْتَسِلْ ... كَوَاجِبٍ وَبِالشُّرُوعِ يَتَّصِلْ
وَالْبَسْ رِدَا وَأُزْرَةً نَعْلَيْنِ ... وَاسْتَصْحِبِ الْهَدْيَ وَرَكْعَتَيْنِ
بِالْكَافِرِينَ ثُمَّ الْإِخْلَاصِ هُمَا ... فَإِنْ رَكِبْتَ أَوْ مَشَيْتَ أَحْرِمَا
بِنِيَّةٍ تَصْحَبُ قَوْلًا وَعَمَلْ ... كَمَشْيٍ اوْ تَلْبِيَةٍ مِمَّا اتَّصَلْ
وَجَدِّدَنْهَا كُلَّمَا تَجَدَّدَتْ ... حَالٌ وَإِنْ صَلَّيْتَ ثُمَّ إِنْ دَنَتْ
مَكَّةُ فَاغْتَسِلْ بِذِي طُوًى بِلَا ... دَلْكٍ وَمِنْ كَدَا الثَّنِيَّةِ ادْخُلَا
إِذَا وَصَلْتَ لِلْبُيُوتِ فَاتْرُكَا ... تَلْبِيَةً وَكُلَّ شُغْلٍ وَاسْلُكَا
لِلْبَيْتِ مِنْ بَابِ السَّلَامِ وَاسْتَلِمْ ... الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ كَبِّرْ وَأَتِمْ
سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ بِهِ وَقَدْ يَسَرْ ... وَكَبِّرَنْ مُقَبِّلًا ذَاكَ الْحَجَرْ
مَتَى تُحَاذِيهِ كَذَا الْيَمَانِي ... لَكِنَّ ذَا بِالْيَدِ خُذْ بَيَانِي

إِنْ لَمْ تَصِلْ لِلْحَجَرِ الْمِسْ بِالْيَدِ ... وَضَعْ عَلَى الْفَمِ وَكَبِّرْ تَقْتَدِي
وَارْمُلْ ثَلَاثًا وَامْشِ بَعْدُ أَرْبَعَا ... خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ أَوْقِعَا
وَادْعُ بِمَا شِئْتَ لَدَى الْمُلْتَزَمِ ... وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بَعْدُ اسْتَلِمْ
وَاخْرُجْ إِلَى الصَّفَا فَقِفْ مُسْتَقْبِلَا ... عَلَيْهِ ثُمَّ كَبِّرَنْ وَهَلِّلَا
وَاسْعَ لِمَرْوَةٍ قِفَنْ مِثْلَ الصَّفَا ... وَخُبَّ فِي بَطْنِ الْمَسِيلِ ذَا اقْتِفَا
أَرْبَعَ وَقْفَاتٍ بِكُلٍّ مِنْهُمَا ... تَقِفُ وَالْأَشْوَاطَ سَبْعًا تَمَّمَا
وَادْعُ بِمَا شِئْتَ بِسَعْيٍ وَطَوَافْ ... وَبِالصَّفَا وَمَرْوَةٍ مَعَ اعْتِرَافْ
وَيَجِبُ الظُّهْرَانِ وَالنَّشْرُ عَلَى ... مَنْ طَافَ نَدْبًا بِسَعْيٍ يُجْتَلَى
وَعُدْ فَلَبِّ لِمُصَلَّى عَرَفَهْ ... وَخُطْبَةُ السَّابِعِ تَأْتِي لِلصِّفَهْ
وَنَامِنَ الشَّهْرِ اخْرُجَنْ لِمِنَى ... بِعَرَفَاتٍ تَاسِعًا نُزُولُنَا
وَاغْتَسِلَنْ قُرْبَ الزَّوَالِ وَاحْضُرَا ... الْخُطْبَتَيْنِ وَاجْمَعَنْ وَاقْصُرَا
ظُهْرَيْكَ ثُمَّ الْجَبَلَ اصْعَدْ رَاكِبًا ... عَلَى وُضُوءٍ ثُمَّ كُنْ مُوَاظِبًا مُصَلِّيَا
عَلَى الدُّعَا مُهَلِّلًا مُبْتَهِلَا ... عَلَى النَّبِي مُسْتَقْبِلَا
مُنِيهَةً بَعْدَ غُرُوبِهَا تَقِفْ ... وَانْفِرْ لِمُزْدَلِفَةٍ وَتَنْصَرِفْ
فِي الْمَأْزِمَيْنِ الْعَلَمَيْنِ نَكِّبِ ... وَاقْصُرْ بِهَا وَاجْمَعْ عِشَا لِمَغْرِبِ
وَاحْطُطْ وَبِتْ بِهَا وَأَحْيِ لَيْلَتَكْ ... وَأَسْرِ عَنْ فِي بَطْنِ وَادِ النَّارِ
وَسِرْ كَمَا تَكُونُ لِلْعَقَبَةِ ... فَارْمِ لَدَيْهَا بِحِجَارٍ سَبْعَةِ
مِنْ أَسْفَلِ تُسَاقُ مِنْ مُزْدَلِفَةْ ... كَالْفُولِ وَانْحَرْ هَدْيًا انْ بِعَرَفَةْ
أَوْقَفْتَهُ وَاحْلِقْ وَسِرْ لِلْبَيْتِ ... قَطُفْ وَصَلِّ مِثْلَ ذَاكَ النَّعْتِ
ثَلَاثُ جَمَرَاتٍ بِسَبْعِ حَصَبَاتْ ... لِكُلِّ جَمْرَةٍ وَقِفْ لِلدَّعَوَاتْ
طَوِيلًا اثْرَ الْأَوَّلَيْنِ أَخِّرَا ... عَقَبَةً فِي كُلِّ رَمْيٍ كَبِّرَا
وَافْعَلْ كَذَلِكَ ثَالِثَ النَّحْرِ وَزِدْ ... إِنْ شِئْتَ رَابِعًا وَتَمَّ مَا قَصَدْ

وَبَيَّنَ ابْنُ عَاشِرٍ الْعُمْرَةَ مَعَ زِيَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَوْلِهِ:

وَسُنَّةُ الْعُمْرَةِ فَافْعَلْهَا كَمَا ... حَجٌّ وَفِي التَّنْعِيمِ نَدْبًا أَحْرِمَا
وَإِثْرَ سَعْيِكَ احْلِقَنْ أَوْ قَصِّرَا ... تَحِلَّ مِنْهَا وَالسِّوَاكَ كَثِّرَا
مَا دُمْتَ فِي مَكَّةَ وَارْعَ الْحُرْمَهْ ... لِجَانِبِ الْبَيْتِ وَزِدْ فِي الْخِدْمَه
وَلَازِمِ الصَّفَّ فَإِنْ عَزَمْتَ ... عَلَى الْخُرُوجِ طُفْ كَمَا عَلِمْتَ
وَسِرْ لِقَبْرِ الْمُصْطَفَى بِأَدَبِ ... وَنِيَّةٍ تُجَبْ لِكُلِّ مَطْلَبِ
سَلِّمْ عَلَيْهِ ثُمَّ زِدْ لِلصِّدِّيقْ ... ثُمَّ إِلَى عُمَرَ نِلْتَ التَّوْفِيقْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ ذَا الْمَقَامِ يُسْتَجَابْ ... فِيهِ الدُّعَا فَلَا تَمَلَّ مِنْ طِلَابْ
وَسَلْ شَفَاعَةً وَخَتْمًا حَسَنَا ... وَعَجِّلِ الْأَوْبَةَ إِذْ نِلْتَ الْمُنَا

خَاتِمَةٌ: وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ نَفَقَةُ الْحَاجِّ وَغَيْرِهِ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَنْ يَرْفُقَ دَابَّتَهُ مَا اسْتَطَاعَ وَيَحْتَسِبُ مَا أَصَابَهُ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ لِأَنَّهُ يَعْدِلُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَذَكَّرَ مِنْ كَوْنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ لَا وُصُولَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَرْكِ الْمَأْلُوفِ وَالْمَأْلَفِ أَنْ لَا وُصُولَ إِلَى اللهِ إِلَّا بِالتَّنَزُّهِ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَيَتَذَكَّرُ مِنْ مُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ إِلَى الْبَيْتِ مُفَارَقَةَ الدُّنْيَا إِلَى اللهِ وَمَنْ قُطِعَ عَقَبَاتُ الْبَرَارِ وَالْمَخَاوِفَ وَالْمَعَاطِشَ عَقَبَاتُ الْآخِرَةِ مَا بَيْنَ خُرُوجِ الرُّوحِ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى النَّارِ أَوْ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَمَنْ نُوِّرَ اللهُ بَصِيرَتَهُ فَالْإِشَارَةُ تَكْفِيهِ.

فَصْلٌ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَفِي الْأَذْكَارِ وَالدَّعَوَاتِ وَفِي الْأَوْرَادِ وَأَسْرَارِ ذَلِكَ،

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْقَارِئُ عَلَى وَضُوءٍ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ مُطْرِقًا رَأْسَهُ يَجْلِسُ جُلُوسَهُ فِي الصَّلَاةِ وَفِي الْمَسْجِدِ أَفْضَلُ مُرَتِّلًا آيَهُ متفكرا بَاكِيًا بِسَبَبِ إِحْضَارِ الْقَلْبِ يَتَأَمَّلُ مَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ وَالْعُهُودِ مَعَ تَقْصِيرِ الْعَبْدِ فِي أَوَامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ وَأَنْ يُرَاعِيَ حُقُّ الْآيَاتِ فَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ سَجْدَةٍ وَدَعَا مَا يَلِيقُ بِالْآيَةِ الَّتِي قَرَأَهَا وَأَنْ يُحَلِّيَ بَاطِنَهُ بِعَشَرَةِ آدَابٍ بِفَهْمِ أَصْلِ الْكَلَامِ ثُمَّ التَّعْظِيمِ ثُمَّ حُضُورِ الْقَلْبِ ثُمَّ التَّدَبُّرِ ثُمَّ التَّفَهُّمِ

ثُمَّ التَّخَلِّي عَنْ مَوَانِعِ الْفَهْمِ كَإِضْرَارٍ عَلَى ذَنْبٍ وَهَوِيٍّ مُطَاعٍ ثُمَّ التَّخْصِيصَ بِأَنْ يُقَدِّرَ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِكُلِّ خِطَابٍ فِي الْقُرْآنِ فَيَعْمَلُ بِمُقْتَضَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَقَصَصَ الْأَوَّلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ بِأَنْ يَعْتَبِرَ بِهِمْ وَيَقْتَدِيَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي صَبْرِهِمْ عَلَى الْأَذَى وَثَبَاتِهِمْ فِي الدِّينِ لِانْتِظَارِ نُصْرَةِ اللهِ ثُمَّ التَّأْثِيرَ بِالْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ وَالرَّجَاءِ ثُمَّ التَّرَقِّيَ مِنَ الْاسْتِمَاعِ إِلَى الشُّهُودِ وَالْمُنَاجَاتِ ثُمَّ التبرء مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَالْالْتِفَاتِ إِلَى النَّفْسِ، وَاللهُ يَخُصُّ فِي ذَلِكَ مِنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتِمَهُ كُلَّ جُمُعَةٍ أَوْ شَهْرٍ أَوْ نِصْفَ سَنَةٍ وَمَا رُوَاهُ ذَلِكَ تَسَاهُلٌ. وَأَمَّا الْأَذْكَارُ فَمِنْهَا التَّهْلِيلُ، قَالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عُشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ»، وَمِنْهَا التَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّكْبِيرُ وَالصَّلَاةُ وَالْاسْتِغْفَارُ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ هِيَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» وَفِي الْكُلِّ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ لَا تَحْصُرُ. وَأَمَّا الدَّعَوَاتُ فَكَثِيرَةٌ مِنْهَا دُعَاءُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ».

وَدُعَاءُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ واستعيذك مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ». وَدُعَاءُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ وَمُوسَى نَجِيِّكَ وَعِيسَى كَلِمَتِكَ وَرُوحِكَ وَبِكَلَامِ مُوسَى وَإِنْجِيلِ عِيسَى وَزَبُورِ دَاوُدَ وَفُرْقَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكُلِّ وَحْيٍ أَوْحَيْتَهُ وَقَضَاءٍ قَضَيْتَهُ أَوْ

سَائِلٍ أَعْطَيْتَهُ أَوْ غَنِيٍّ أَفْقَرْتَهُ أَوْ فَقِيرٍ أَغْنَيْتَهُ أَوْ ضَالٍّ هَدَيْتَهُ وَبِاسْمِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ عَلَى مُوسَى عليه السلام وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي ثَبَّتَ بِهِ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ فَاسْتَقَرَّتْ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى السَّمَوَاتِ فَاسْتَقَلَّتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الْجِبَالِ فَرَسَتْ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَسْتَقِلُّ بِهِ عَرْشَكَ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّهُورِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الْوَتْرِ الْمُنَزَّلِ فِي كُتُبِكَ مِنْ لَدُنْكَ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ، وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ وَبِعَظَمَتِكَ وَكِبْرِيَائِكَ وَبِنُورِ وَجْهِكَ أَنْ تَرْزُقَنِي الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَأَنْ تَخْلِطَهُ بِدَمِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي وَتَسْتَعْمِلَ بِهِ جَسَدِي بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

وَدُعَاءُ أَبِي الدرداء رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ قَالَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ وَهِيَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، بِسْمِ اللهِ كَانَ وَمَا لَمْ يُشَأْ لَمْ يَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ غَيْرِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». وَعَنْهُ مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ: «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ. وَدُعَاءُ قبيصة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ قُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وَدُعَاءُ الْخَضِرِ عليه السلام: «بِسْمِ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ مَا شَاءَ اللهُ كُلُّ نِعْمَةٍ مِنَ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللهُ» فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا إِذَا أَصْبَحَ أَمِنَ مِنَ الْحَرَقِ وَالْغَرَقِ وَالسَّرِقَةِ. وَدُعَاءُ مَعْرُوفٍ الكرخي: «حَسْبِيَ اللهُ لِدِينِي حَسْبِيَ اللهُ لِدُنْيَايَ حَسْبِيَ اللهُ الْكَرِيمُ لَمَّا أَهَمَّنِي حَسْبِيَ اللهُ الْحَلِيمُ الْقَوِيُّ لِمَنْ بَغَى عَلَيَّ حَسْبِيَ اللهُ الشَّدِيدُ لِمَنْ كَادَنِي بِسُوءٍ حَسْبِيَ اللهُ الرَّحِيمُ عِنْدَ الْمَوْتِ

حَسْبِي الله الرَّؤُوفُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ حَسْبِي الْكَرِيمُ عِنْدَ الْحِسَابِ حَسْبِي الله اللَّطِيفُ عِنْدَ الْمِيزَانِ حَسْبِي الله الْقَدِيرُ عِنْدَ الصِّرَاطِ حَسْبِي الله لَا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ». وَالدَّعَوَاتُ والاستعاذات المأثورة كَثِيرَةٌ فَعَلَيْكَ بِمَا صَحَّ وَأَحْسِنْ النِّيَّةَ مَعَ مُرَاعَاةِ آدَابِ الدُّعَاءِ وَهِيَ عَشْرَةٌ:

الأَوَّلُ: تَرَصُّدُ الأَوْقَاتِ الشَّرِيفَةِ كَوَقْتِ السَّحَرِ وَيَوْمِ الْجمعةِ وَفِي رَمَضَانَ وَعرفةِ. وَالثَّانِي: اغْتِنَامُ الأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ كَحَالِ زَحْفِ الصَّفِّ فِي الْجِهَادِ وَنُزُولِ الْغَيْثِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ. الثَّالِثُ: اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ. الرَّابِعُ: الاقْتِصَادُ بَيْنَ السِّرِّ وَالْجَهْرِ. الْخَامِسُ: عَدَمَ تَكَلُّفُ السَّجْعِ. السَّادِسُ: لُزُومُ التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ. السَّابِعُ: الْجَزْمُ بِدُعَائِهِ فَلَا تَرَدُّدَ مَعَ صِدْقِ الرَّجَاءِ. الثَّامِنُ: الإِلْحَاحُ فِيهِ. التَّاسِعُ: افْتِتَاحُهُ بِذِكْرِ الله وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَأَنْ يَقُولَ سُبْحَانَكَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الوهَّابُ أَعْطِنِي كَذَا ثُمَّ يَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ أيضا. الْعَاشِرُ: التَّوْبَةُ وَرَدُّ الْمَظَالِمِ وَالإِقْبَالَ عَلَى الله بِكُنْهِ الْهِمَّةِ فَذَلِكَ السَّبَبَ الْمُقَرِّبَ فِي الإِجَابَةِ. وَأَمَّا الأوراد فَاعْلَمَ أولا أَنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الْعَالِمِ سُفْرٌ وَأَوَّلَ مَنَازِلِهِمْ الْمُهْدِ وآخرها اللَّحْدَ وَالْوَطَنَ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ، وَالْعُمْرَ مَسَافَةَ السَّفَرِ فسنيه مَرَاحِلَهُ وشهوره فَرَاسِخِهِ وَأَيَّامِهِ أَمْيَالِهِ وَأَنْفَاسِهِ خطواته وَطَاعَتَهُ بِضَاعَتِهِ وَأَوْقَاتِهِ رُؤُوسِ أَمْوَالِ وَشَهَوَاتِهِ وَأَغْرَاضِهِ قطاع طَرِيقِهِ وَرِبْحِهِ الْفَوْزِ بِلِقَاءِ الله فِي دَارِ السَّلَامِ مَعَ الْمُلْكِ الْكَبِيرِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَخَسْرَانِهُ الْبُعْدِ مِنَ الله مَعَ الأَغْلَالِ وَالأَنْكَالِ وَالْعَذَابِ الأَلِيمِ فِي دَرَكَاتِ الْجَحِيمِ فَالْغَافِلِ عَنْ نَفْسٌ مِنْ أَنْفَاسِهِ حَتَّى انْقَضَى مَنْ غَيْرِ طَاعَةِ الله مُعْتَرِضٍ لِغَبْنٍ وَخَسَارَةِ مَالِهِمَا مُنْتَهَى، فَعَلِيَ الْعَاقِلُ مُرَاقَبَةَ الأَوْقَاتِ بالأوراد عَلِي سَبِيلُ الدَّوَامِ لَكُنَّ النَّاسُ سِتَّةُ أقسام، عَابِدَ وَعَالِمِ وَمُتَعَلِّمِ وَوَالِ وَمُحْتَرِف وَمُسْتَغْرِق بالله، فَيَخْتَلِفَ أَوْرَادُهُمْ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ وَأَمَا الْعَابِدَ وَهُوَ الَّذِي لا شُغْلَ لَهُ إلا الْعِبَادَةَ وَلَوْ تَرَكَهَا لِجَلَسَ بَاطِلًا فَتَرْتُبَ أَوْرَادُهُ عَلَى سَبْعَةِ بِالنَّهَارِ. الْوِرْدُ الأَوَّلَ: مِنْ طُلُوعِ الصُّبْحِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَإِذَا انْتَبَهَ ذَكَرُ الله بِقَوْلِهِ الْحَمْدِ لله أحيانًا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيهُ النُّشُورَ، اللَّهُمَّ

أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيى وبك نموت وإليك المصير، اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجره إلى مسلم ثم يقرأ إن في خلق السموات العشر الآيات آخر سورة آل عمران ثم يلبس ثوبه وينوي به ستر عورته ثم يخرج إلى الخلاء إن احتيج ثم يستاك ويتوضأ مراعيا لجميع السنن في ذلك فإذا فرغ صلى ركعتي الصبح ثم يخرج إلى المسجد ويقول اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا وفي سمعي نورا ومن أمامي نورا ومن تحتي نورا، اللهم خرجت إلى المسجد اتقاء سخطك وابتغاء رحمتك فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم أني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي بسم الله لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم فإذا وصل إلى المسجد يقول حين الدخول اللهم صل على محمد وسلم، اللهم أغفر لي ذنوبي وأفتح لي أبواب رحمتك يقدم اليمنى في الدخول ويصل إلى الصف الأول إن لم يتخط الرقاب ويصلي ركعتي التحية وينتظر الجماعة، ثم يصلي الفريضة بالآداب المتقدمة فإذا أفرغ قعد في المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله بأذكار وأدعية وقراءة قرآن وتفكر فيما ينفعه بأن يحاسب نفسه فيما سبق ويدبر وظائف يومه الذي بين يديه وفي دفع العوائق عن الخير ويتفكر في نعم الله الظاهرة والباطنة ليحمده فهذه الأربع الذكر والدعاء، والقراءة، والتفكر هي وظيفة في كل ورد بعد الفراغ من الصلاة.

والورد الثاني: من طلوع الشمس إلى ضحوة النهار يصلي الضحى ثم يشتغل بالأربع وبعيادة المرضى وتشييع الجنائز والمعاونة على البر والتقوى وحضور مجلس العلم وصلاة التطوع ما أستطاع. الورد الثالث: من الضحوة إلى الزوال فيشتغل بالأربع مع تدبير معاشه بكسب وحضور سوق وصنعة ولا ينسى ذكر الله في ذلك. الورد الرابع: من الزوال إلى الفراغ من الظهر وراتبته يتوضأ ويحضر المسجد ويستمع الأذان يحكيه ويحيي ما بين الأذان والإقامة فيصلي أربعا قبل

الظُّهْرِ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا. الْوِرْدُ الْخَامِسُ: مَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعَصْرِ وَيُسْتَحَبُّ فِيهِ الْعُكُوفُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْتُهُ أَسْلَمَ لِدِينِهِ. الْوِرْدُ السَّادِسُ: إِذَا دَخَلَ وَقْتُ الْعَصْرِ إِلَى الِاصْفِرَارِ فَيُصَلِّي أَرْبَعًا ثُمَّ يُصَلِّي الْفَرْضَ ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِالْأَرْبَعِ وَالْأَفْضَلُ التِّلَاوَةُ. الْوِرْدُ السَّابِعُ: مِنَ الِاصْفِرَارِ إِلَى الْغُرُوبِ فَوِرْدُهِ كَالْأَوَّلِ وَيَتَأَكَّدُ الِاسْتِغْفَارُ بِأَنْ يَقُولَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ وَسُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ إِلَى أَنْ يُسْمَعَ أَذَانُ الْمَغْرِبِ فِي مَا سَبَّ نَفْسَهُ بِمَا مَضَى فِي النَّهَارِ إِذْ قَدْ انْقَضَى مِنْ سَيْرِهِ مَرْحَلَةٌ فَيَشْكُرَ اللهَ عَلَى مَا وَفَّقَ وَيَعْزِمُ عَلَى تَلَافِي مَا فَرَّطَ ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى أَوْرَادِ اللَّيْلِ وَهِيَ خَمْسَةٌ:

الْأَوَّلُ: مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى الْعِشَاءِ فَيُحْيِي مَا بَيْنَهُمَا بِالصَّلَاةِ. الثَّانِي: مِنَ الْعِشَاءِ إِلَى نَوْمِ النَّاسِ فَيُصَلِّي بَعْدَ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَشْرِ ركعةِ آخِرِ الْوِتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ إِنْ لَمْ تَكُنْ بَعْدُ عَادَتِهِ الْقِيَامِ وإلا فَالتَّأْخِيرُ أَفْضَلُ. الثَّالِثُ: النَّوْمُ نَفْسُهُ إِنْ نَوَى بِهِ الْقِيَامَ لِلْعِبَادَةِ وَنَامَ عَلَى طِهَارَةٍ تَائِبًا مُسْتَقْبِلًا مَكْتُوبًا عِنْدَهُ وَصِيتِهِ مَنْ غَيْرِ تَنَعُّمٍ بِفَرَاشٍ وَتَكَلُّفٍ قَائِلًا اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِاسْمِكَ أَرْفَعُهِ مُتَذَكِّرًا لِلْمَوْتِ ذَاكِرًا اللهَ عِنْدَ تَيَقُّظَاتِهِ وَتَقَلُّبَاتِهِ. الرَّابِعُ: مِنْ مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ إِلَى سُدْسِهِ فَإِنْ قَامَ فِيهِ فَعَلَ مَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الأوراد وَيُصَلِّي مَا قُدِّرَ لَهُ ثُمَّ يَنَامَ كَمَا تَقَدَّمَ. الْخَامِسُ: مِنْ سُدْسِهِ إِلَى الْفَجْرِ إِنْ قَامَ فِيهِ يَكْثُرُ الِاسْتِغْفَارُ إِلَى الْفَجْرِ فَهَذِهِ أَوْرَادُ الْعَابِدِ. وَأَمَّا الْعَالِمُ الَّذِي يَنْتَفِعَ النَّاسُ بِعِلْمِهِ فِي فَتْوَى أَوْ تَدْرِيسٌ أَوْ تَصْنِيفٌ فَيَحْتَاجُ إِلَى مُطَالَعَةٍ وَتَصْنِيفٍ فَإِنْ أَمْكَنَهُ اسْتِغْرَاقُ الْأَوْقَاتِ فِيهِ فَهُوَ أَفْضَلُ مَا يَشْتَغِلُ بِهِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَاتِ وَرَوَاتِبِهَا لَكِنَّ يَنبغي أَنْ يَخْصَرَ بِمَا بَعْدَ الصُّبْحِ بالأذكار وَبَعْدَ الطُّلُوعِ بِالتَّعْلِيمِ وَبَعْدَ ضَحْوَةِ النَّهَارِ بِالتَّصْنِيفِ وَالْمُطَالَعَةِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ بِسَمَّاعِ مَا يُقْرَأُ عَلَيْهُ وَبَيْنَ يَدَيْهُ مِنْ تَفْسِيرٍ وَحَدِيثٍ أَوْ عِلْمَ نَافِعُ وَبَعْدَ الِاصْفِرَارِ بِالِاسْتِغْفَارِ إِلَى الْغُرُوبِ، وَأَمَّا اللَّيْلُ فَثُلُثِهِ الْأَوَّلِ لِلْمُطَالَعَةِ وَالْوَسَطِ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ النَّوْمَ وَالْأَخِيرَ لِلِاسْتِغْفَارِ، وَإِمَّا الْمُتَعَلِّمُ فَالِاشْتِغَالَ بِالتَّعَلُّمِ أَفْضَلُ لَهُ مِنَ الأذكار وَالنَّوَافِلَ لَكِنَّ يَشْتَغِلُ بِالِاسْتِفَادَةِ حَيْثُ

يَشْتَغِلَ الْمُعَلِّمُ بِالإِفَادَةِ وَالدَّرْسِ وَالنَّسْخِ بَدَلَ التَّصْنِيفِ وَالْمُطَالَعَةُ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْعَوَامِ فَحُضُورِهِ مَجَالِسَ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ أَفْضَلُ لَهُ مِنَ الأوراد الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَأَمَّا الْمُحْتَرِفُ لِعِيَالِهِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُضَيِّعَهُمْ وَيَسْتَغْرِقَ الأَوْقَاتَ بِالْعِبَادَاتِ بَلْ يَشْتَغِلُ بِصِنَاعَتِهِ وَكَسْبِهِ لَكِنْ مَعَ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى التَّسْبِيحَاتِ والأذكار وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَلَا يُنَسَّى اللهُ حِينَئِذٍ فَإِذَا فَرَغَ مَنْ كِفَايَتِهِ رَجَعَ إِلَى الأوراد وَيُدَاوِمُ عَلَى الْكَسْبِ وَيَتَصَدَّقُ بِمَا فَضُلَ عَنْ حَاجَتِهِ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الأوراد الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَأَمَّا الْوَالِي كَالإِمَامِ الْقَاضِي وَكُلُّ مَنْ تَوَلَّى لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَقِيَامِهِ بِحَاجَاتِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ وَقَصْدِ الإِخْلَاصِ أَفْضَلُ مِنَ الأوراد الْمَذْكُورَةِ فَحَقُّهِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِحُقُوقِ النَّاسِ بِنَهَارٍ أَوْ يَقْتَصِرُ عَلَى الْمَكْتُوبَةِ، وأوراد اللَّيْلِ مُسْتَطَاعٌ وَقَدْ عَلِمْتَ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ يَقْدُمُ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ أَمْرَانِ: الْعِلْمُ، وَالرِّفْقُ بِالْمُسْلِمِينَ، أَمَّا الْمُسْتَغْرِقُ فِي حُبِّ اللهِ الَّذِي لَا يَخَافُ إِلا مِنْهُ وَلَا يَتَوَقَّعُ الرِّزْقَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الأوراد بَلْ يَرُدُّهُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ حُضُورُ الْقَلْبِ مَعَ اللهِ فِي كُلِّ حَالٍ وَاللهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

خَاتِمَةٌ: فِي أَسْبَابِ تَيْسِيرِ الطَّاعَاتِ وَهِيَ تَقْلِيلُ الطَّعَامِ وَتَقْلِيلُ التَّعَبِ فِي أَعْمَالِ الدُّنْيَا وَاجْتِنَابُ الأَوْزَارِ وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ مِنْ حِقْدِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمَنْ بُدِعَ وَفُضُولُ هموم الدُّنْيَا وَالْتِزَامُ خَوْفِ الآخِرَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي نَعِيمِهَا وَحُبِّ اللهِ وَقُوَّةُ الإِيمَانِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَصْلٌ فِي الْجِهَادِ وَأَسْرَارِهِ:

وَهُوَ قِتَالُ مُسْلِمٍ كَافِرًا غَيْرَ ذِي عَهْدٍ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ أَوْ حُضُورَهُ أَوْ دُخُولَ أَرْضِ الْكُفَّارِ لِذَلِكَ فَمَنْ قَاتَلَ لِلْغَنِيمَةِ أَوْ الْجَاهِ لَيْسَ مُجَاهِدًا أَوْ لَا يَحِلُّ لَهُ الْغَنِيمَةُ وَالْجِهَادُ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى كُلِّ حُرٍّ ذَكَرٍ مُكَلَّفٍ قَادِرٍ وَيَتَعَيَّنُ بِفَجَاءِ الْعَدُوِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَنْدَفِعَ وَبِتَعْيِينِ الإِمَامِ بَالَا مَانِعَ وَفَرَائِضُهُ النِّيَّةُ وَطَاعَةُ الإِمَامِ وَتَرْكُ

الْغُلُولِ الْوَفَاءَ بِالْأَمَانِ وَالثَّبَاتَ عِنْدَ الزَّحْفِ وَتَجْنِيبُ الْفَسَادِ، وَيَجِبُ قِتَالُ الْمُرْتَدِّينَ وَالْبُغَاةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَعَلَى الْإِمَامِ حِفْظُ الثُّغُورِ بِالرِّبَاطِ وَهُوَ الْإِقَامَةُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخَافُ فِيهِ مِنَ الْكُفَّارِ لِقُرْبِهِ مِنْ بِلَادِهِمْ وَفِيهِ ثَوَابٌ كَثِيرٌ حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ. خَاتِمَةٌ: يَنْبَغِي الِاشْتِغَالُ بِمُسَابَقَةِ الْخَيْلِ وَنَحْوِهَا وَمُنَاضَلَةِ السِّهَامِ وَنَحْوِهَا تَمْرِينًا عَلَى الْجِهَادِ وَكَذَا الْمُسَابَقَةِ بِالْأَقْدَامِ وَالْحِجَارَةِ وَالْمُصَارَعَةِ إِذَا قَصَدَ بِذَلِكَ الْإِعَانَةَ عَلَى الْجِهَادِ لَا لِمُغَالَبَةِ كَفِعْلِ الْفُسَّاقِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَصْلٌ فِي آدَابِ الْعَادَاتِ وَأَسْرَارِهَا:

وَهِيَ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالنِّكَاحُ وَالْكَسْبُ وَالْمُعَاشَرَةُ حَضَرًا وَسَفَرًا وَالْعُزْلَةُ وَالْحِسْبَةُ فَأَمَّا الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ فَالْآدَابُ فِيهِمَا نِيَّةُ التَّقَوِّي عَلَى الدِّينِ مِنْ حَلَالٍ طَيِّبٍ عَلَى السُّنَّةِ وَالْوَرَعُ بِالرِّضَى بِمَا وَجَدَ وَتَكْثِيرُ الْأَيْدِي وَلَوْ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَالْبَدْءُ بِبِسْمِ اللهِ وَالْخَتْمُ بِالْحَمْدِ جَهْرًا وَالْأَكْلُ بِالْيَمِينِ وَتَصْغِيرُ اللُّقْمَةِ وَتَجْوِيدُ الْمَضْغِ وَعَدَمُ الْمَأْكُولِ وَالْأَكْلُ مِمَّا يَلِيهِ وَلَقْطُ مَا سَقَطَ وَأَكْلُهُ وَلَعْقُ الْأَصَابِعِ وَعَدَمُ نَفْخِ الطَّعَامِ الْحَارِّ وَمَصُّ الْمَاءِ لَا الْعَبُّ وَالْإِمْسَاكُ قَبْلَ الشِّبَعِ وَلَعْقُ اللُّقْمَةِ وَشُكْرُ اللهِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ بَعْدَ الْأَكْلِ وَأَلَّا يَأْكُلَ أَزْيَدَ عَلَى مَا يَأْكُلُ رَفِيقُهُ وَأَنْ يَصُبَّ الْمَاءَ فِي غَسْلِ الْيَدَيْنِ وَأَلَّا يَدْخُلَ لِلطَّعَامِ الَّذِي لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ وَتَرْكُ التَّكَلُّفِ لِلزَّائِرِ وَإِحْضَارِ مَا حَضَرَ وَمِنَ التَّكَلُّفِ طَلَبُ إِطْعَامِ أَخِيكَ مَا لَا تَأْكُلُهُ أَنْتَ لِأَنَّ التَّكَلُّفَ إِلَى التَّقَاطُعِ إِذْ يُسْتَحْيَى الزَّائِرُ مِنَ الرُّجُوعِ وَكَانَتِ الصَّحَابَةُ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الطَّعَامِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَأَمَّا النِّكَاحُ: فَمُعِينٌ عَلَى الدِّينِ وَسُنَّةُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فَقَدْ جَاءَ التَّرْغِيبُ فِيهِ بِاعْتِبَارِ فَوَائِدِهِ وَالتَّحْذِيرُ بِاعْتِبَارِ آفَاتِهِ وَفَوَائِدُهُ خَمْسٌ الْوَلَدُ، وَكَسْرُ الشَّهْوَةِ وَتَدْبِيرُ الْمَنْزِلِ، وَتَكْثِيرُ الْعَشِيرَةِ، وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ بِالْقِيَامِ بِهُنَّ وَآفَاتُهُ ثَلَاثَةُ الْأُولَى، تَسَبُّبُ الْعَجْزِ عَنْ طَلَبِ الْحَلَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَتَيَسَّرُ لِكُلِّ أَحَدٍ لَاسِيَّمَا فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ مَعَ اضْطِرَابِ الْمَعَاشِ فَيَكُونُ النِّكَاحُ سَبَبًا لِلدُّخُولِ فِي الْحَرَامِ وَأَطْمَاعِهِ وَلَا يَخْلُصُ

مِنْ هَذِهِ الآفات غَالِبًا إلا مِنْ لَهُ مَالَ مَوْرُوثُ حُلَالٍ أَوْ كُسِبَ مِنْ حُلَالٍ يَكْفِيهُ وَأَهْلُهُ إِنْ كَانَ لَهُ قَنَاعَةٌ أَوْ مُحْتَرِف بِاصْطِيَادِ وَاحْتِطَابِ وَنَحوَ ذَلِكَ مِنَ الْمُبَاحِ أَوْ ذُو صنعةٍ لا تَتَعَلَّقُ بِالسَّلَاطِينِ يُقَدِّرُ عَلَى مُعَامَلَةِ أهْلِ الأَخِيرِ بِهَا وَمِنْ ظَاهِرِهُ السَّلَامَةِ وَغَالِبِ مَالهُ الْحُلَالِ، وَالثَّانِيَةَ الْقُصُورَ عَنِ الْقِيَامِ بِحُقوقِهِنَّ وَالصَّبِرِ عَلَى أخلاقِهِنَّ رَوَى أَنَّ الْهَارِبُ مِنْ عِيَالهُ كالآبق لَا تقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا صُيَامُ حَتَى يَرْجِعَ إِلَيهُمْ وَمِنْ قَصَرِ عَنِ الْقِيَامِ بحقوههن وَإِنْ كَانَ حَاضِرٌ فَهُوَ هَارِبٌ. الثَّالِثَةُ الشُّغْلَ بِذَلِكَ عَنِ الله. وَأَرْكَانُهُ رَضِيُّ الزَّوْجَيْنِ وَالْوَلِيِّ وَحُضورِ شَاهِدِيُّ. عِدْلُ بِإِيجَابِ وَقَبُولِ مُتَّصِلِ بِهِ بِلَفْظِ الإنكاحِ وَنَحوهُ بِكُلِّ لِسَانٍ مِنْ مُكَلَّفٍ لَيْسَ بِامْرَأةٍ، وَآدَابُهُ: الْخطبةُ بِالْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ قَبْلَ الإنكاحِ وَتَخْفِيف الصَّدَاقِ وَإِحْضَارِ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَنِيَّةِ السُّنَّةِ، وَفِي الْمَسْجِدِ وَفِي شَوَّالِ وَأَنْ تَكُونُ ذَاتُ دِينٌ، وَخُلُقِ حُسْنٍ، وَوُلَاةٌ، وَبَكَارَةٌ، وَنِسَبٌ، وَجِمَالَ وَصُلَاحَ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُكُونَ عَوْنًا عَلَى الدِّينِ وإلا كَانَتْ شَاغِلَةٌ عَنِ الدِّينِ، وَيَجِبُ عَلَى الْوَلِيِّ أَنْ يَرَاعَيَ لِوَلِيَّتِهِ أَيْنَ يَضَعهَا فَلَا يُزَوِّجُهَا مِمَّنْ سَاءَ خُلُقُهُ أَوْ ضَعِيف دِينِهِ أَوْ قَصَرٌ عَنِ الْقِيَامِ بِحُقُّهَا أَوْ مِنْ لَا يُكَافِئُهَا فِي نِسَبِهَا، قَالَ ﷺ «النِّكَاحَ رَقٌّ فَلْيَنْظُرَ أَحدُكُمْ اين يَضَعَ كَرِيمَتُهُ» وَالْاحْتِيَاطَ فِي حُقِّهَا أَهَمْ لِأَنَّهَا رَقِيقَةَ بِالنِّكَاحِ لَا مُخْلِصَ لِهَا وَالزَّوْجُ قَادِرٌ عَلَى الطَّلَاقِ فَكُلُّ مِنْ زُوجَ إِبْنَتَهُ ظَالِمًا أَوْ فَاسِقًا فَقَدْ تَعَرَّضَ لِسَخَط الله بِمَا قِطَعُ مِنْ حُقِّ الرَّحِمِ وَسُوءِ الْاخْتِيَارِ، وَعَلَى الزَّوْجِ الْوَلِيمَةَ وَاحْتِمَالَ الأَذَى وَالْمُزَاحِ الْمُدَاعِبَةِ الَّتِي تُطَيِّبَ الْقُلُوبُ لَكُنَّ لَا يَنْبَسِطُ فِي اتِّبَاعِ هَوَاهَا إِلَى يَسْقَطَ هَيْبَتُهُ عِنْدهَا بِالْكُلِّيَّةِ بَلْ يُرَاعِيَ الْاعْتِدَالُ فِي ذَلِكَ إِنْ أَدَّتْ مَا يُخَالَفُ الشَّرْعُ والمروة تَنمُرٌ، وَعَلَيهُ الْاعْتِدَالَ فِي النَّفَقَةِ مَنْ غَيْرِ إقتار وَلَا إِسْرَافُ وَالْاعْتِدَالُ فِي الْغَيْرَةِ بِأَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ فِي مَبَادِئِ الأُمُورِ مَنْ غَيْرِ رِيبَةٍ، وَأَمَا الْغَيْرَةَ فِي مَحَلُ الرِّيبَةِ فَلَا بُدَّ مِنهَا وَالطَّرِيقَ الْمُغْنِي عَنِ الْغَيْرَةِ أَلَا يَدْخُلَ عَلَيْهَا الرِّجَالِ وَلَا تَخْرُجُ حَيْثُ يَرَاهُمْ إِذْ لَا يَجُوزَ خُرُوجُهَا إلا لِضَرُورَةِ دِيْنِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ، وَعَلَيهُ أَنْ يَعْلَمهَا مَا تَحْتَاجَ إِلَيهِ مِنَ الدِّينِ فَلَا يُجُوزُ لَهَا الْخُرُوجُ إِلَى سُؤَالِ الْعُلَمَاءِ

إِنْ كَانَ يَكْفِيهَا بِالتَّعْلِيمِ أَوْ بِالسُّؤَالِ لَهَا فَلَا تَخْرُجُ حِينَئِذٍ إِلَى مَجْلِسِ وَعْظٍ وَلَا عِلْمٍ وَإِذَا كَانَ لَهُ نِسْوَةٌ فَعَلَيْهِ الْعَدْلُ بَيْنَهُنَّ فِي قَسْمِ الْمَبِيتِ لَا فِي الْحُبِّ وَالْجِمَاعِ فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ اخْتِيَارِهِ، وَعَلَيْهِ تَأْدِيبُ مَنْ نَشَزَتْ وَإِنْ اضْطَرَّ إِلَى الطَّلَاقِ فَلْيَكُنْ فِي طُهْرٍ لَمْ يَمَسَّ فِيهِ طَلْقَةً وَاحِدَةً وَيَمْنَعُهَا وَلَا يَغُشُّ سِرَّهَا، وَعَلَى الزَّوْجَةِ طَاعَتُهُ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ فِي كُلِّ حَالٍ مِمَّا لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ لِأَنَّهَا كَرَقِيقَةٍ لَهُ قَالَ ﷺ «خَيْرُ نِسَائِكُمْ الَّتِي إِذْ نَظَرَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا سَرَّتْهُ وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ». وَأَمَّا الْكَسْبُ: فَيُرَاعِيَ فِي الصِّحَّةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى الدِّينِ فَالصِّحَّةُ فِي الْبَيْعِ أَنْ يَكُونَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الرِّضَى مِنْ عَاقِلٍ رَشِيدٍ مُخْتَارٍ وَأَنْ يَكُونَ الْمَعْقُودُ عَلَيْهِ طَاهِرًا مُنْتَفِعًا بِهِ مَقْدُورًا عَلَى تَسَلُّمِهِ وَتَسْلِيمِهِ مَعْلُومَ الْعَيْنِ وَالْقَدْرِ وَالْوَصْفِ لَمْ يَرِدْ نَهْيُ الشَّرْعِ عَنْ بَيْعِهِ خَالِصًا عَنِ الرِّبَا، وَفِي السَّلَمِ تَسْلِيمُ رَأْسِ الْمَالِ مَعَ تَعْرِيفِ أَوْصَافِ الْمُسْلَمِ فِيهِ مَعْلُومَ الْأَجَلِ لَيْسَا طَعَامَيْنِ وَلَا نَقْدَيْنِ، وَفِي الْإِجَارَةِ كَالْبَيْعِ وَالْعَدْلِ وَعَدَمِ كَتْمِ الْعُيُوبِ وَعَدَمِ الْاِحْتِكَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَفِي الْإِحْسَانِ أَلَّا يَغْبِنَ صَاحِبَهُ أَنْ تَمَكَّنَ وَيَحْتَمِلُ هُوَ الْغَبْنَ وَيَكُونَ سَمْحًا فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْاِقْتِضَاءِ وَيَسْتَوْفِي الثَّمَنَ بِلَا تَأْخِيرٍ وَالشَّفَقَةِ عَلَى الدِّينِ تَحْسِينُ النِّيَّةِ فِي كَسْبِهِ وَأَلَّا يَمْنَعَهُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ وَأَنْ يَتَّقِيَ مَوَاضِعَ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ وَلَا يَتَّبِعَ الْفَتَاوَى وَالْمُبِيحَةَ لِمَانِعِ غَيْرِهَا وَيَبْحَثُ فِي مَحَلِّ الْبَحْثِ مَوَاضِعَ الرِّيَبِ فِي الْمَالِ وَصَاحِبِهِ لَا فِي غَيْرِهَا وَيَخْرُجُ عَنِ الْمَظَالِمِ بِأَنْ يُمَيِّزَهَا مِنْ مَالِهِ وَيُعْطِيَهَا أَهْلَهَا أَنْ عَلِمَهَا وَعَلِمَهُمْ وَإِلَّا مَيَّزَ قَدْرَ الْحَرَامِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَنْ صَاحِبِهِ وَأَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخَذَ بِالْيَقِينِ أَوْ غَالِبِ الظَّنِّ وَيَحْتَرِزُ عَنْ عَطَايَا السَّلَاطِينِ الظَّلَمَةِ وَأَنْ جَازَتْ فِي ظَاهِرِهَا وَيَحْتَرِزُ عَنْ مَظَانِّ الرِّشْوَةِ كُلِّهَا، وَعَلِمَ أَنَّ الْعَابِدَ وَالْعَالِمَ وَالْغَارِقَ فِي التَّوْحِيدِ وَالسُّلْطَانِ وَالْقَاضِي وَالشَّاهِدِ فَهَؤُلَاءِ إِقْبَالُهُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الْاِشْتِغَالِ بِالْكَسْبِ إِنْ كَانَتْ كِفَايَتُهُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَوْ زَكَاةٍ أَوْ صدقة مَنْ غَيْرِ سُؤَالٍ وَأَمَّا مَنْ يُحْوِجُهُ تَرْكُ الْكَسْبِ إِلَى السُّؤَالِ فَلْيَنْظُرْ فِي الْأَصْلَحِ لَهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

وَأَمَا الْمُعَاشَرَةَ: فَلَا يِنبغي لَكَ أَنْ تُعَاشِرَ وتخالل إلا مِنْ فِيهِ خُمسَ خِصَالٌ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا، حَسَنَ الأخلاقِ، غَيْرَ فَاسِقٍ، وَلا مُبْتَدِعٌ، وَلا حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا، وينبغي إِنْ تُرَاعِي لَهُ حُقُوقُ الْأُخُوَّةِ وَالْمُحِبَّةِ وَهِيَ ثَمَانِيَةُ الْأَوَّلِ: حُقٌّ فِي الْمَالِ بِأَنْ تُواسِيَ بِهِ أَخَاكَ بِمَا فُضُلٌ عَنْ ضَرُورَتِكَ مَنْ غَيْرِ أَنْ تُحْوِجَهُ إِلَى السُّؤَالِ، الثَّانِي: إِعَانَتُهُ بِالنَّفْسِ فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ قَبْلَ السُّؤَالُ وَتَقْدِيمُهَا عَلَى الْحَاجَاتِ الْخَاصَّةَ بِهِ، الثَّالِثَ: السُّكُوتُ عَنْ عُيُوبِهُ فِي حضرته وَغَيْبَتِهِ، الرَّابِعَ: النُّطْقُ بِمَا يُسْرُهُ وَإِظْهَارُ السُّرُورِ بِمَا سُرُّهُ، الْخَامِسَ: الْعَفْوُ عَنِ الزَّلَاتِ فِيمَا كَانَ مَنْ حُقِّهُ وَمَا كَانَ حُقًّا لله فَيُلَاطِفُهُ بِمَا يُعِيدُهُ إِلَى الصُّلَاحِ وَمَهْمَا اِعْتَذَرَ صَادِقًا أَوْ كَاذِبًا قَبْلَ، السَّادسَ: الدُّعَاءُ لَهُ فِي حَيَّاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهُ، السَّابِعَ: الْوَفَاءُ وَالْإِخْلَاصُ وَمُعْنَى الْوَفَاءِ الثَّبَاتِ عَلَى الصَّدَاقَةِ إِلَى الْمَوْتِ وَبَعْدَهُ مَعَ أَوْلَادِهُ وَأصدقَائِهِ وَأَلا يَتَغَيَّرُ لَهُ فِي التَّوَصُّلِ لِارْتِفَاعِ شَأْنهُ بِالْوَلَايَةِ وَالْجَاهِ، وَالثَّامِنَ: التَّخْفِيفُ وَتَرْكُ التَّكَالِيفُ بِأَلَا يَكْلُفُ أَخَاهُ مَا يشق عَلَيهِ مِنَ التَّوَاضُعِ لَهُ وَالْقِيَامُ بِحُقُوقِهِ بَلْ لَا يَقْصِدُ بِمُحِبَّتِهِ إلا لَهُ، قَالَ عَلِيٌّ ﷺ «شُرٌّ الأصدقاءُ مِنْ تَكَلُّفِ أَخَاهُ مَا يشق عَلَيهِ مِنَ النوال لَكَ وَمِنْ أَحْوَجِكَ إِلَى مَدَارَاتِهِ وألجاك إِلَى الاعْتِذَارِ. فَالنَّاسُ ثَلاثَة مِنْ تَنْفَعُ بِهِ بِلَا مُضِرَّةٍ وَمَنْ تَنْفَعُهُ أَنْتَ وَلَا يَضُرُّكَ فَوَخَاهُمَا مِنْ لَا تَقْدُرُ نَفْعِهِ وَلَا تَتَضَرَّرُ بِهِ وَهُوَ الْأَحْمَقُ والسيء الْخُلُقَ فَاجْتَنَبَهُ فَهَذِهِ حُقوق الْأُخُوَّة وَالْمُحِبَّة، وَأَمَا حُقوق الْمُسْلِم مُطْلَقًا فَإِنْ تُسَلِمْ عَلَيْهُ إِذَا لَقِيتِهِ وَتَشَمُّتِهِ إذاَ عَطَسَ وَتَعُودُهُ إِذَا مَرَضٍ وَتُشْهَدْ جَنَازَتُهُ إذاَ مَاتَ وَتَبَرُّ قِسمِهِ إِذَا أَقْسَمَ عَلَيْكَ وَتَنَصَّحُ لَهُ إِذَا إِسْتَنْصَحِكَ وَتَحَفُّظِهِ إِذَا غَابِ وَتَحَبُّ لَهُ مَا تَحَبُّ لِنَفْسكَ وَتَكَرُّهِ لَهُ مَا تكرُهُ لِنَفْسكَ، وَإِنْ كَانَ جَارٌ فَتَتَأكَّدُ هَذِهِ فِيهِ فِي زِيَادَةٍ أَلَا تَسْتَطِيلَ عَلَيهِ فِي الْبِنَاءِ إلا بِإِذْنِهِ وَإِنْ أُشْتُرِيَتْ فَاكِهَةٌ فَهْدِ لَهُ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخَلَهَا دَارُكَ سُرًّا وَلَا يَخْرُجَ وَلَدُكَ بِهَا لِيُغَيْظَ وَلَدُهُ وَلَا تؤذه بِقتَارِ قِدْرِكَ إلا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنهَا وَأَلا تَطَلُّعُ عَلَى عَوِرَتِهِ وَلَا تَضَايِقُهُ فِي الْمُرَافِقِ كَمَصَبُّ التُّرَابِ وَمَوْضِعِ الْكَنِيفِ وَمَرْبَط الدَّوَابُّ وَأَنْ تَغِضُّ بَصَرُكَ عَنْ حُرَمِهِ، وَإِنْ كَانَ مَنُّ الأقَارِبِ وَذَوِي الرَّحِم

كَانَتْ الْحُقُوقُ فِيهِ اكَيد، قَالَ ﷺ «أَفْضَلُ النَّاسُ أتقاهم لله» وَأُوْصَلُهُمْ لِرَحِمَهُ وَأمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الأقارِبَ أنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا خوفًا مِنَ التَّزَاحُمِ عَلَى الْحُقوقِ فَيُورِّثُ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَحُقوق الْوَالِدِينَ وَالأَوْلَادَ أَكِيدَ قَالَ ﷺ «لَنْ يَجْزِيَ وَلَدُ وَالِدُهُ حَتَّى يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيهِ وَيَعْتِقُهُ» وَقَالَ بِرُّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتكَ أَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ وَقَالَ رَحِمُ اللهِ وَالِدِ أعَانَ وَلَدُهُ عَلَى بِرِّهِ أَيِّ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الْعُقُوقِ بِسُوءِ عَمَلِهِ، حَقّ الْوَلَدِ أَنْ يُؤَدِّبَ وَيَعْلمُ وَيُزَوِّجُ أَنْ بَلُغَ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ الأَبُ أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ فتنتكَ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابِكَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَا حُقوق الْمَمْلُوكِ: فَهُوَ آخِرُ مَا أَوْصَى بِهِ ﷺ بِقَولِهُ اِتَّقُوْا اللهَ فِيمَا مُلِكَتْ أَيمَانُكُمْ أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَأَكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبِسُونَ وَلَا تكَلّفوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا لا يُطِيقُونَ فَمَا أَحْبَبْتُم فَأَمْسِكُوا وَمَا كَرِهْتُم فَبِيعُوا وَلَا تعَذِبُوا خَلْقَ اللهِ، وَقَال لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّئ الْمَمْلَكَةِ أعَانَنَا اللهُ عَلَى إتِبَاعِ مَا قَالَهُ ﷺ وَكُلّ هَذِهِ حُقوق الْإِخْوَانِ.

وَأَمَا الْحُقوقَ فِي السَّفَرِ وَآدَابِهِ: فَالْبَدْءُ بِرَد الْمَظَالِمِ قَبْلَ السَّفَرِ وَقَضَاء الدُّيونِ وَأعْدَاد النَّفَقَةِ لِمِنْ تُلْمِهِ نَفقَتِهِ وَرَد الْوَدَائِعِ وَاخْتِيَار الرَّفِيقِ وَتَوْدِيع الأَهْلِ وَالأصدقَاءِ وَالْخُرُوجِ بِكُرَةٍ وَألَا يَنْزِلُ حَتَّى يُحْمِيَ النَّهَارُ وَلا يُمَشِّي مُنْفَرِدًا وَأَنْ يَرْفُقَ الدَّابَةُ فِي الْحَمْلِ وَالضَّرْبِ وَتَعْجِيلِ الأوبة إذاَ قَضَى وَطَرُهُ وَالدُّخُولُ ضُحَى مَعَ إسْتِصْحَاب هَدِيَّةِ السُّرُورِ وَاللهِ الْمُوَفِّقِ، وَأَمَا الْعزلةَ عَنِ النَّاسِ فَفِيهَا فوَائِد وَغَوَائِل وَفَوَائِدهَا الْفَرَاغ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّخَلُّصِ عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي يَتَعَرَّضُ الْإِنْسَانُ غَالِبًا بِالْمُخَالَطَةِ وَهِيَ الْغِيبَةُ والرياء وَالسُّكُوتَ عَنِ الْأَمْرِ الْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكرِ وَالْخلاصِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْخُصُومَاتِ وَمَنْ شَرِّ النَّاسِ وَقِطَع طَمِعَهُمْ عَنكَ وَطَمَعَكَ عَنهُمْ وَالْخلاصَ مِنْ مُشَاهَدَة الْحمقَى وَمقَاسَاتِ أخلاقهُمْ، وَغَوَائِلهَا فوَاتِ فَوَائِد الْمُخَالَطَةِ هِي التَّعَلُّمُ وَالتَّعْلِيمُ وَالنَّفْعُ وَالْانْتِفَاعُ وَالتَّأْدِيبُ وَالتَّأَدُّبُ والاستيناس وَالْإِينَاسَ وَنِيل الثَّوَابِ وإنالته وَاسْتِفَادَة التَّجَارِبِ مِنْ مُشَاهَدَة

الأَحْوَالِ وَلِذَا كَانَتِ الْعزلةُ قَبْلَ التَّعَلُّمِ غَايَةَ الْخُسْرانِ وَصَاحِبُهَا ضحكة الشَّيْطَانِ وَلَا خَيْرَ فِي عزلة الْعوَامِ وَالْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مَا يَلْزَمُهُمْ فِي الْعزلةِ فَلَا تليق الْعزلةَ إلا لِلْعَالِمِ، وَالله الْمُسْتَعَانِ. وَأَمَّا الْحِسْبَةُ الَّتِي هِيَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فدرجاته تُسْعٌ: التَّعَرُّفُ ثُمَّ التَّعْرِيفُ ثُمَّ النَّهْيُ بِالْوَعْظِ وَالنُّصْحِ ثُمَّ السَّبُّ وَالتَّعْنِيفُ ثُمَّ التَّغْيِيرُ بِالْيَدِ ثُمَّ التَّهْدِيدُ بِالضَّرْبِ ثُمَّ إِيقَاعُ الضَّرْبِ ثُمَّ شُهِرَ السِّلَاحُ ثُمَّ الِاسْتِظْهَارُ فِيهِ بِالْأَعْوَانِ وَجَمْعِ الْجُنُودِ، وَآدَابُ الْمُحْتَسِبِ مَرْجِعُهَا إِلَى الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَالله الْمُوَفِّقُ.

خَاتِمَةٌ: فِي ثَمَرَاتِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَمَعْنَى الْحُبِّ بِالله، وَاعْلَمْ يا أَخِي أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ يَوْجُبُ التحابب والتوالف وَسُوءَ الْخُلُقِ يُثْمِرُ التَّبَاغُضَ وَالتَّحَاسُدَ فَالْأُلْفَةُ ثَمَرَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالتَّفَرُّقُ ثَمَرَةُ سُوءِ الْخُلُقِ فَالْحُبُّ لِلشَّيْءِ لَا يَخْلُو مِنْ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ: مَا تَحِبُّ لِكَوْنِكَ تَتَلَذَّذُ بِهِ طَبْعًا كَحُبِّ الشَّيْءِ لِجَمَالِهِ فَهَذَا لَا يَدْخُلُ فِي الْحُبِّ فِي الله بَلْ إِذَا تَصِلُ بِهِ غَرَضٌ مذمور فَمَذْمُومٌ كَحُبِّ الصُّورَةِ الْجَمِيلَةِ لِلزِّنَا وإلا فَمُبَاحٌ. الثَّانِي: لُحِظَ دُنْيَوِيٌّ كَنَيْلِ الْجَاهِ وَالْمَالِ مِنَ السُّلْطَانِ وَنَيْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْأُسْتَاذِ لِيَنَالَ بِهِ الْجَاهَ وَالْمَالَ فَلَيْسَ مِنَ الْحُبِّ فِي الله فَإِنْ قَصَدَ بِهِ قَهْرَ الْأَقْرَانِ وَظُلْمَ الرَّعِيَّةِ كَانَ مَذْمُومًا وَإِنْ قَصَدَ بِهِ التَّوَصُّلَ إِلَى مُبَاحٍ فَمُبَاحٌ. الثَّالِثُ: لَحَظَ آخِرِينَ كَحُبِّ الْأُسْتَاذِ وَالشَّيْخِ لِفَوْزِ بِالنَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ فَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْحُبِّ فِي الله وَكَذَا مِنْ تُحِبُّهُ لِكَوْنِهِ عَيْنَكَ عَلَى طَاعَةِ الله مِنْ خَادِمٍ أَوْ زَوْجَةٍ. الرَّابِعُ: أَنْ يُحِبَّهُ الله وَفِي الله لَا لِيَنَالَ مِنْهُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ لِأَنَّهُ يُحِبُّ الله وَمَنْ أَحَبَّ أَحَدًا أَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُ وَهَذَا أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَكُلُّ مُؤْمِنٍ إِذَا أَخْبِرَ عَنْ عَالِمٍ أَوْ عَابِدٍ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مَيْلًا إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ غَائِبًا عَنْهُ وَذَلِكَ الْمَيْلُ هُوَ الْحُبُّ فِي الله وَلِذَا نَحِبُّ مَنْ نَسْمَعُهُ مِنَ الْمَوْتَى مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ فَحُبُّهُمْ مَكْتُوبٌ فِي كُلِّ مُسْلِمٍ لَكِنَّ يتفاوت بِضَعْفِ الْإِيمَانِ وَقُوَّتِهِ وَبِمَا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ الْبُغْضُ فِي الله ضِدُّ مَا تَقَدَّمَ، وَالله الْمُوَفِّقُ.

فصل في رياضة القلب:

وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْإِنْسَانِ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ إِنَّمَا هُوَ بِالْمَعْرِفَةِ بِاللهِ وَلَا تَكُونُ إِلا بِالْقَلْبِ فَالْقَلْبُ هُوَ الْعَالِمُ بِاللهِ المتقرب إِلَيْهِ المكاشف بِمَا عِنْدَهُ إِذَا سُلِّمَ مِنْ غَيْرِ الله وَهُوَ الْمَحْجُوبُ عَنِ الله إِذَا أَسْتَغْرَقَ بِغَيْرِ الله وَالْجَوَارِحُ لَهُ أَتْبَاعٌ وَخَدَمٌ وَآلَات هُوَ لَطِيفَةٌ رَبَّانِيَّةٌ رُوحَانِيَّةٌ لَهَا تَعَلُّقٌ بِالْقَلْبِ الْجُسْمَانِيِّ لَكُنَّ حَقِيقَتُهُ لَا تُدْرَكُ إِلا بِالْعَلْمِ الْمُكَاشَفَةَ وَتِلْكَ اللَّطِيفَةَ هِيَ الرُّوحُ وَهِيَ الْعَقْلُ أَيْضًا وَقِيلَ الْعَقْلُ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي حَلَّ فِي الْقَلْبِ وَهِيَ النَّفْسُ أَيْضًا بِمَعْنَيٍّ أَنَّهَا نَفْسُ الْإِنْسَانِ أَيْ حَقِيقَتُهُ لَكُنَّ النَّفْسَ الَّتِي تَجْرِي فِي عُرْفِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ هُوَ صِفَةُ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ فَمُرَادِهِمْ بِالنَّفْسِ الأصل الْجَامِعَ الصِّفَاتُ الْمَذْمُومَةِ فَلِذَا يَقُولُونَ لَا بُدَّ مِنْ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَإِلَى الْقَلْبِ يَقْصِدُ الْمُلَكُ وَالشَّيْطَانُ وَمَا يَأْتِي بِهِ الْمُلَكُ إِلَيْهِ يُسَمَّى وَحْيًا أَنْ كَانَ صَاحِبُ الْقَلْبِ يُشَاهِدُ الْمُلَكَ وَهُوَ خَاصٌّ بِالْأَنْبِيَاءِ وَأَنْ كَانَ لَا يُشَاهِدُ الْمَلَائِكَةَ فَيُسَمَّى إِلْهَامًا أَنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ اسْتِدْلَالٍ وَهُوَ الَّذِي لِلْأَوْلِيَاءِ وَأَمَّا بِاسْتِدْلَالٍ هُوَ الَّذِي لِلْعُلَمَاءِ، وَمَا لِلشَّيْطَانِ يُسَمَّى وَسْوَسَةً وَلَا يَكُونُ إِلا شَرًّا، وَدَفَاعُهُ الْاسْتِعَاذَةِ وَذِكْرِ الله بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَمَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ إِلَى الْقَلْبِ بِالْوَسْوَسَةِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا الْغَضَبُ وَالشَّهْوَةُ وَالْحُسْدُ وَالْحِرْصُ عَلَى التَّزَيُّنِ بِالثِّيَابِ وَالدُّورِ وَالْأَثَاثِ وَالطَّمَعِ فِي النَّاسِ وَالْمَالِ وَالْبُخْلُ وَالْحِقْدُ وَسُوءُ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَرِيَاضَةُ النَّفْسِ لَا يَحْصُلُ إِجْمَالًا إِلا بِتَحْصِيلِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَلَا يَتِمُّ غُلًّا بِاسْتِوَاءِ أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ، وَقُوَّةِ الْعِلْمِ، وَقُوَّةِ الْغَضَبِ، وَقُوَّةِ الشَّهْوَةِ، وَقُوَّةِ الْعَدْلِ بَيْنَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَبِقُوَّةِ الْعِلْمِ يُفَرَّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي الْاعْتِقَادَاتِ وَبَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ فِي الْأَقْوَالِ وَبَيْنَ الْجَمِيلِ وَالْقَبِيحِ فِي الْأَفْعَالِ فَإِذَا حُصِلَتْ الْحِكْمَةُ أَيُّ الدِّينِ وَالْعُقْلِ فَإِذَا دَخَلَتْ الشَّهْوَةُ وَالْغَضَبُ تَحْتَ الْحِكْمَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ وَاعْتِدَالُ الْغَضَبِ يُسَمَّى شَجَاعَةً وَزِيَادَتُهُ تَهَوُّرٌ أَوْ نُقْصَانُهُ جُبْنًا وَخَوَرًا وَاعْتِدَالُ الشَّهْوَةِ عِفَّةً وَالزِّيَادَةُ

شَرُّهَا وَالنُّقْصَانُ جُمُود وَاعْتِدَالَ الْعَلْمِ حَكَمَهُ وَالإِفْرَاطُ خَبْثَ وَمِكْرٌ وَالتَّفْرِيطُ بَلْه فَأُمَّهَات الأَخلاقِ أَرْبَعَة الحكمةِ، وَالشَّجَاعَةَ، وَالعِفَّةَ، وَالعِدْل فَمَنْ إعْتِدَال هَذِهِ الأُصول يَحْسُنُ الْخُلُقِ وَبِضِدِّهِ يَسُوءُ، وَنْ أَرَادُ أَنْ يَعْلَمَ هَلْ حَسُنَ خُلُقُهُ أَمْ لا فَلْيَزِنَّ نَفْسهُ بِهَذِهِ الآيات وَهِي: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون ١] وقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ إلى ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿حَقًّا﴾ وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

فَوُجُودُ هَذِهِ الصِّفَاتُ عَلاَمَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَفَقْدِهَا عَلاَمَة الْخُلُقِ وَجُودِ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ يَدُلُّ عَلَى الْبَعْضِ فَلْيَشْتَغِلْ بِتَحْصِيلِ مَا فَقَدْ وَحُفَّظ مَا وَجِدٌ، وَبَعْدَ تَحْصِيل حُسْنِ الْخُلُقِ يَجْتَهِدُ فِي إِزَالَة الْحُجُبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله وَهِي حجَابُ الْمَالِ حَتَّى لَا يُبْقَّى مِنهُ إلا قَدْر الضَّرُورَةِ وَحجَابِ الْجَاهِ بِالْبُعْدِ عَنْ مَوَاضِع الْجَاهِ وَإِيثَارِ الْخُمُولِ وَحجَابِ التَّقْلِيد بَتَرْكَ التَّعَصُّبُ لِلْمَذَاهِبِ وَحجَابِ الْمَعْصِيَةِ بِالتَّوْبَة وَالْخُرُوجِ مِنَ الظَّالِمِ وَالْعَزْمِ عَلَى عَدَمُ الْعَوْدِ وَالنَّدَمِ عَلَى مَا مَضَّى وَرَدُّ الْمَظَالِمِ وَإِرْضَاء الْخُصُومِ، وَإِذَا زَالَ الْحُجُبُ صَارَ كَمِنْ تَطْهَرَ وَصُلْحُ لِصَلاَةِ فَيَطْلَبَ مِنْ يَقْتَدِي بِهِ يَعْتَصِمُ بِهِ ومتعصم الْمُرِيدَ شَيْخَهُ الْعَارِفُ بِعُيُوبِهِ وَمَكَايِدِ الشَّيْطَانِ لَهُ فَيَتَمَسَّكُ بِهِ تَمَسُّكَ الأَعْمَى عَلَى شَاطِئِ لِبَحْرِ بِالْقَايِدِ بِحَيْثُ يُفَوِّضُ أَمْرُهُ إلَه بِالْكُلِّيَّةِ، فَيَجِبُ عَلَى الشَّيْخِ أَنْ يَدْخُلَهُ الْحِصْنُ الْحَصِينُ لِيَتَمَكَّنُ مِنْ مُحَارَبَة الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ وَالْحِصْنِ و الْخَلْوَةَ وَالصُّمتَ وَالْجُوْعَ وَالسَّهَرَ بِقِيَامِ اللَّيْلِ والأوراد، ثُمَّ يَشْتَغِلْ بِقِطَعِ الْعَقَبَاتِ بِتَخْلِيَةِ الْبَاطِنِ وَتَحْلِيَتِهِ هُوَ الَّذِي نُبَيِّنُ بَعْدَ هَذَا وَهُوَ الرِّيَاضَةُ تَفْصِيلًا إِلَى أَنْ يَصُلَّ إِلَى رَبِّهُ وَالله الْمُوَفَّق.

فصل في تطهير القلب من الصفات المهلكات،

فَمِنهَا شَهْوَةُ الْبَطْنِ تُقِيمُ شَهْوَةُ الْفَرْجِ ثُمَّ يُؤَدِّيَانِ إِلَى طُبِّ الْمَالِ وَالْجَاهِ فَيُفْضِي إِلَى الرياء وَالتَّفَاخُرَ وَالْكِبْرِ وَالْحُسْدَ وَالْحِقدَ وَالْعَدَاوَةَ وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَدوَاؤُهَا الْجُوْع بِالتَّدْرِيج فَمَنْ اعْتَادَ أَكْلُ رَغِيفَيْنِ مَثَلا وَأَرَادُ أَنْ يِ رُدَّ نَفْسهُ إِلَى رَغِيفِ يَنْقُصَ كُلُّ يَوْم جُزْءًا مِنْ ثَلَاثِينَ حَتَّى يَرْجِعُ إِلَى رَغِيف فِي شَهْرٍ وَلَا يستضر بِهِ وَلَا يَظْهَرَ أَثَرُهُ فَيَتْرُكَ كُلُّ يَوْمِ لِقِمَّةٍ حَتَّى يَرْجِعُ إِلَى قِدْرِ الْقُوَّامِ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ حلالًا، وَمِنهَا آفَاتُ اللِّسَانِ وَهِيَ الْكَلَامُ فِيمَا لَا يُعْنِيٍ وَالزِّيَادَةُ فَمِنْ يتأدى مَقْصُودهُ بِكَلِمَةٍ فَذَكَّرَ كَلِمَتَيْنِ فَالثَّانِيَةِ فُضُولَ وَالْخَوْضَ فِي الْبَاطِلِ وَهُوَ الْكَلَامُ فِي الْمَعَاصِي كَحِكَايَةِ تَنَعُّمِ الْأَغْنِيَاءِ وَتَمَكُّنَّ الْمُلُوكُ وَأَحْوَالُ النِّسَاءِ وَالْفُسَّاقِ فَالْكُلَّ مِنَ الْخَوْضِ وَالْمِرَاءِ وَالْجِدالِ بِالْبَاطِلِ وَتَكْلُفُ الْفَصَاحَةُ فِي الْمُحَاوِرَاتِ الَّتِي تُجْرَى لِقَضَاءِ الْحَاجَاتِ وَلَا بَاعِثُ عَلَيهِ إِلا الرياء وَإِظْهَار الْفَصَاحَةِ وَالْفُحْشِ وَالسَّبُ وَبَذَاءَةِ اللِّسَانِ وَاللَّعْنِ لِحَيْوَانٍ أَوْ جمادُ، وَالْغِنَاءَ وَهُوَ الصَّوْتُ الْمُطْرِبُ بِآلَةِ أَمْ لا فَمَا كَانَ بِغَيْرِ آلَةُ فَمَكْرُوهُ وَإِنْ خلا عَنِ الْمُنكرِ وَمَا كَانَ آلَةُ فَحَرَامٌ عَلَى مَشْهُورِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ.

وَأَمَّا الشِّعْرِ فَكَلَام حَسَنِهِ حُسْنِ وَقَبِيحِهِ قَبِيحِ وتكثير الْمُزَاحَ وَالسُّخْرِيَّةَ وَالْاسْتِهْزَاءَ وَإِفْشاء السِّرِّ وَالْوَعْدِ وَالْكَاذِبِ وَالْكَذِبِ فِي الْقَوْلِ وَالْيَمِّيْنِ وَالْغِيبَةَ وَهِيَ أَعظمٌ فِي آفَات اللِّسَانِ وَهِيَ أَنْ تَذَكُّر أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ لَوْ بَلَغَهُ وَالنَّمِيمَةُ وَهِيَ الْإِخْبَارُ بِمَا يَكْرَهُ كَشْفُهُ وَكَلِّهَا يَجِبُ التَّوْبَةُ عنها وَمِنهَا الْغَضَبَ بِالْبَاطِلِ وَسَبَبِهِ الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْمُزَاحِ وَالتَّعْيِينِ والممارات المضارة وَشِدَّةُ الْحِرْصُ عَلَى حُصُولِ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَعِلَاجَهُ أَنْ تُذَكِّرَ فُضْلُ كُظْمُ الْغَيْظِ فَيَرْغَبُ فِي ثَوَابِهِ وَخُوْف عقَابَ اللهِ وَعوَاقِبَ الْغَضَبِ فِي الدُّنْيَا وَقُبْحِ صُورَةِ الْغَضْبَانِ وَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ الشَّيْطَانِ إِنْ لَمْ تَنتَقِمْ مِنْ هَذَا فَهُوَ عَجزَ مِنكَ وَمَهَانَةٌ فِي أعينِ النَّاسِ فَيُخَالِفُهُ لِئَلَّا يَصْغُرَ عِنْدَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ فإِذَا كَانَ قَائِمًا فَلْيَقْعُدُ أَوْ قَاعِدًا فَلْيَضْطَجِعُ

وَلْيَتَوَضَّأْ أَوْ يَغْتَسِلْ، وَمِنْهَا الْحِقدَ وَهُوَ إِضْمَارُ الْعَدَاوَةِ فَهُوَ نَتِيجَةُ الْغَضَبِ يَنْتِجُ الْحُسْدُ وَالشَّمَاتَةُ وَالْهِجْرَانِ وَالْاسْتِصْغَارَ وَالْكَذِبَ وَالْغِيبَةَ وَالْاسْتِهْزَاء والإيذاء وَمْنِعَ الْحُقوقُ، وَعِلاَجهُ يَتَكَلَّفَ إِسْتِيفَاءُ الْحُقوقِ وَزِيَادَة الْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ وَالرِّفْقِ حَتَّى يَذْهَبُ، وَمِنْهَا الْحُسْدَ وَهُوَ فَرعَ الْحِقدِ وَفُرُوعِهِ لا تَحْصَى وَهُوَ كَرَاهَةُ النِّعمةِ وَحَبّ وَالِهَا مِنَ الْمُنْعَّمِ عَلَيهِ، وَأَسْبَابُهُ الْعَدَاوَةِ وَالتَّعَزُّزِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْخَوْفِ مِنْ فُوَاتِ الْمَقَاصِدِ وَحبّ الرياسة وَبُخْلُهَا فَيَكْرَهُ النِّعمةُ عَلى غَيْرِهُ لِئَلاَّ يَتَكبِّرَ عَلَيهِ بِالنِّعمةِ وَهُوَ لا يَحْتَمِلُ. لهُ كِبْرُهُ لِعِزَّةِ نَفْسهُ عَلَيهِ وَهُوَ الْمرَادُ بِالتَّعَزُّزِ اولا يَخَافُ أَنْ يَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى مُزَاحَمَتِهِ فِي أَغْرَاضِهِ وَلِذَا تَأَكَّد بَيْن الأَمْثَالِ وَالْأَقْرانِ وَالْأُخُوَةِ وَالْأَقَارِبِ لِتَقْوَى أَسْبَابُهُ بَيْنَهُمْ إِذْ يَتَوَارَدُونَ عَلَى الْأَغْرَاضِ فَإِذَا خَالِف وَاحِد مِنهُمْ صَاحِبهُ فِي غَرَض نَفْرِ عَنهُ وَأَبْغُضهُ وَثَبَتَ الْحُسْدُ فِي قُلْبِهِ فَيُرِيدَ تَحْقِيرُهُ وَالتَّكَبُّرُ عَلَيهِ وَيَكْرَهَ تَمَكُّنُهُ مَنِ النِّعمةَ الَّتِي تَوَصُّلَهُ إِلَى أَغْرَاضِهِ، وَدَوَاء الْحُسْدِ أَنْ تَعَرُّفَ أَنَّهُ ضَرَر عَلَيكَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَأَنَّهُ لا يَضُرَّ الْمَحْسُودُ فِي دُنْيَا، وَلَا فِي دِينِهِ بَلْ يَنْتَفِعُ بِهِ فِيهِمَا وَمَهْمَا عَرَفْتِ هَذَا فَارَقَتْ الْحُسْدُ وَتَكَلَّفُ فِي الْمَحْسُودِ نَقِيْض مَا يَقْتَضِيهُ الْحُسْدُ مِنْ مَدْحِهِ وَالتَّوَاضُعِ لَهُ وَالْاعْتِذَارُ إِلَيهِ فَلاَ بُدّ أَنْ يَطْلَبَ قُلْبُهُ وَيَتَوَلَّدَ مِنهُ الْمُوَافَقَةَ الَّتِي تَقْطَعَ الْحُسْدُ وَإِيَّاكَ وَقَوْلَ الشَّيْطَانُ إِنْ تَوَاضَعْتَ حَمَلُكَ عَلَى الْعَجْزِ أَوْ النِّفَاقِ أَوْ الْخُوْفَ وَذَلِكَ مَذَلَّة وَمَهَانَةِ فَهُوَ كَذَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ بَلْ الْمُجَامَلَة تَكْسِرُ الْعَدَاوَةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَتُرِدُ الْقَلْبُ إِلَى التَّآلُفِ فَتَسْتَرِيحُ مِنْ أَلَمْ الْحُسْدَ وَغَمّ التَّبَاغُضِ فَهَذِهِ أَوْدِيَةَ الْحُسْدِ وَهِيَ نَافِعَةُ جِدًّا إلا أَنَّهَا مَرَّةَ يُسِّر الله لَنَا الشِّفَاءُ بِمِنهُ وَكَرَمِهُ، وَمِنهَا الْاشْتِغَالَ بِالدُّنْيَا وَهِيَ كُلُّ مَا فِيهِ حَظُّ عَاجِلٌ وَلا ثَمَرَةٌ لَهُ فِي الْآخِرَةِ كَالتَّلَذُّذِ بِالْمَعَاصِي كُلُّهَا وَالتَّنَعُّمَ بِالْمُبَاحَاتِ الزَّائِدَةَ عَلَى قَدْرِ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَاتِ، وَدَوَاءهُ تَذَكُّر سَرِعَةِ زَوَالِهَا وَالتَّحَسُّرَ الدَّائِمَ عَلَيهَا، وَمِنهَا البخل وَحبُّ الْمَالُ وَمَا تُقَدَّمَ عَامُ وَالْمَالُ مِنْ أَجزَاء الدُّنيَا، وَمِنهَا حبُّ الْجَاهُ والرياء

وَمِنْ شَرِّهِ حُبّ الْجَاهِ وَأَصْل الْجَاهِ وَانْتِشَار الصِّيتِ وَاشْتِهَارهُ حُبُّهِ مَذْمُوم إلا مِنْ شَهْرهُ الله يَنْشُرَ دِينَهُ مَنْ غَيْر طَلَب الشُّهرةِ مِنهُ، وَعِلاَجهُ أَنْ تَعَلَّمْ أَنَّ السَّبَبُ الَّذِي لأَجلَهُ الْجَاهُ وَهُوَ كَمَالُ القدرةِ عَلَى قُلُوب النَّاسِ إِنَّ صَفَّا وَسُلِّم فآخره الْمَوْتَ وَلَيْسَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ فَلَوْ سَجِدَ لَكَ كُلُّ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ فَمَنْ قَرِيب يُصَيِّرُ السَّاجِدُ والمسجود لَهُ فِي الْأَموَاتِ مَعَ مَا تَعَرَّضْتِ لَهُ مِنَ الْأَخطَارِ إِذْ كُلُّ مَنْزِلَتِهِ فِي الْقُلُوبِ فَإِذَا عَلِمْتِ هَذَا وَتَكَلُّف الْأَعْمَالِ الَّتِي لَا تُلَائِمَ الْجَاهُ فَارَقَكَ ضَرَرُهُ.

وَأَمَا الرياء وَهُوَ طَلِبَ الْجَاهُ لِعِبَادَاتِ فَحَرَامَ إِجْمَاعًا يَكُونَّ بِالْبُدْنِ كَإِظْهَارِ النُّحُولِ لِيُوهِمْ بِهِ شِدَّةُ الاجْتِهَادِ وَكَذَا خَفْضِ الصَّوْتِ وَنَحوهُ وَبِالَّذِي كَغَلْظِ الثِّيَابِ وَتَشْمِيرِهَا وإطراق الرَّأْسَ وَإِبْقَاء أثِر السُّجُودِ عَلَى الْوَجْهِ ليرى أَنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ وَبِالْقَوْلِ كَالْوَعْظِ وَنُطْق الْحُكْم وَتَحْرِيك الشَّفَتَيْنِ بِالذِّكْرِ فِي مَحْضَرِ النَّاسِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنِ الْمُنْكَرِ لِطَلِبَ الْجَاهُ فِي الْقُلُوبِ وَبِالْعَمَلِ كَتَطْوِيلِ الْقِيَامِ وَالسُّجُودِ وَالرُّكوعِ فِي الصَّلَاةِ وَإِظْهَار الْهُدُوءِ وَالسُّكُوتِ وَلُزُوم الصَّوْمِ وَالْغَزْوِ وَالصَّدقةِ وَالْإِطْعَام لِأَجلِ الْجَاهَ، وَبِالْأَصْحَابِ وَالزَّائِرِينَ كَمِنْ يَتَكَلَّفُ أَنْ يستزير عَالِمًا أَوْ عَابِدًا لِيُقَالَ أَنَّ أهْلَ الدِّينِ يَتَبَرَّكُونَ بِزِيَارَتِهِ وَيَتْزِلُونَ إِلَيْهِ أمير الْمُؤْمِنِينَ أَوْ عَامِلهُ لِيُقَالَ إِنَّهُ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ لِعَظَمَ رُتْبَتُهُ فِي الدِّينِ، وَأَمَا الرياء فِي غَيْرِ الْعِبَادَاتِ فَلَا يَحْرِمُ إلا إِذَا حَمَلِ عَلَى حَرَام كَالتَّلْبِيسِ كَمِنْ قَضَى دِينُ جَمَاعَةِ وَحِيَل لِلنَّاسِ أنّهُ تَبَرَّعَ عَلَيهِمْ وَمَا لَمْ يَحْمِلْ عَلَى الْحَرَامِ قَدْ يَكُونُ مُبَاحًا كَمَا إِذَا حُسْنِ لِهُمْ نَفْسهُ حَذِرًا مِنْ ذَمَهُمْ وَقَدْ يَسْتَحِبُ إِذَا قَصْدِ بِذَلِكَ تَقْوِيَتِهُمْ عَلَى أَتبَاعِ دَعْوَتهُ إِلَى الدِّينِ وَقَدْ يَجِبُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، وَدوَاء الرياء قَلِعَ أُصولَهُ وعروفه وَهِى حَبُّ الْمَدْحِ وَالْفِرَارِ مِنَ الذَّمْ وَالطَّمَعِ لَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَمِنهَا الْكِبَرَ وَهُوَ رُؤْيَةُ نَفسهُ فَوْقَ الْمُتكَبِّرِ عَلَيهِ، وَأَسْبَابهُ سَبْعَةٌ: التَّكَبُّرُ بِالْعِلْمِ وَمَا أَسرِعَهُ إِلَى الْعُلَمَاءِ، وَالتَّكبُّرُ بِالْعِبَادَاتِ وَهُوَ الْغَالِبُ فِي الْعُبَّادِ وَالزُّهَّادِ، وَالتَّكَبُّرِ بِشَرَف

النَّسَبِ وَذَلِكَ دَفِينٌ فِي النَّفْسِ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ نَسِيبٌ غَالِبًا وَإِنْ كَانَ صَالِحًا عَاقِلًا لَكِنْ لَا يَتَرَشَّحُ مِنْهُ عِنْدَ إِعْتِدَالِ الْأَحْوَالِ فَإِذَا غَضِبَ تَرَشَّحَ مِنْهُ وَغَيْرُ الصَّالِحِ يرى النَّاسَ الَّذِينَ دَوْلَهُ كَالْمَوَالِي وَالْعَبِيدِ، وَالتَّكَبُّرُ بِالْجَمَالِ وَغَالِبِهِ فِي النِّسَاءِ، وَالتَّكَبُّرُ بِالْمَالِ وَغَالِبِهِ بَيْنَ الْمُلُوكِ فِي الْخَزَائِنِ وَبَيْنَ التُّجَّارِ فِي الْبَضَائِعِ وَبَيْنَ الْأُمَرَاءِ فِي الْأَرْضِ وَبَيْنَ المتجملين فِي اللِّبَاسِ وَالْخُيُولِ وَالْمَرَاكِبِ فَيَسْتَحْقِرُ الْغَنِيُّ الْفَقِيرَ وَيَقُولُ مَنْ أَنْ لَوْ أَرَدْتُ لَاشْتَرَيْتُ مِثْلَكَ وَقَدْ اسْتَخْدَمْتُ مِنْ هُوَ فَوْقَكَ وَكُلُّ ذَلِكَ جَهْلٌ بِآفَاتِ الْغِنَى. وَالتَّكَبُّرُ بِالْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ عَلَى أَهْلِ الضَّعْفِ، وَالتَّكَبُّرُ بالأتباع وَالْأَنْصَارِ وَالتَّلَامِذَةِ وَالْعَشِيرَةِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَوْلَادِ يُجْرَى ذَلِكَ فِي الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ، وَعَلَامَاتُ الْكِبْرِ حُبُّ قِيَامِ النَّاسِ بين يَدَيْهِ وَمَشْيِهِمْ مَعَهُ وَعَدَمُ زِيَارَةِ غَيْرِهِ وَهُوَ ضِدُّ التَّوَاضُعِ وَالْاسْتِنْكَافُ مِنْ جُلُوسِ غَيْرِهِ بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَتَوَقِّي مُجَالَسَتِهِ المرضى وَالْفقرَاءِ وَعَدَمَ حَمْلِ مَتَاعِهِ مَنِ السُّوقِ وَنَحْوِهِ إِلَى بَيْتِهِ وَكُلُّ ذَلِكَ خِلَافُ السُّنَّةِ وَالتَّوَاضُعِ وَدَوَاءُ الْكِبْرِ أَنْ تَعْلَمَ ذُلَّ نَفْسِكَ وَعَجْزَكَ وَأَنَّ الْعِزَّةَ وَالْقدرَةَ لله فَتَتَوَاضَعُ بِالْفِعْلِ لله وَلِسَائِرِ الْخَلْقِ بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى أَخلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَالتَّوَاضُعُ هُوَ الْعَدْلُ الْمَحْمُودُ وَالْإِفْرَاطُ تَكَبُّرٌ وَالتَّفْرِيطُ مَذَلَّةٌ وَهُمَا مَذْمُومَانِ فَمِنْ تَقَدَّمَ عَلَى أَمْثَالِهِ فَمُتَكَبِّرٌ وَمِنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ فَمُتَوَاضِعٌ وَمِنْ تَوَاضَعَ للأدنيين كَعَالِمٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ السُّوقِيُّ فَيَقُومُ لَهُ وَيُجْلِسُهُ مَجْلِسَهُ فَهُوَ مُتَذَلِّلٌ لَوْ فَعَلَهُ لِعَالِمٍ فَمُتَوَاضِعٌ فينبغي إِعْطَاء كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَتَوَاضُعِهِ لِلسُّوقِيِّ الْبُشْرُ وَالرِّفْقُ فِي الْكَلَامِ وَأَلَا يرى نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْهُ، وَمِنْهَا الْعُجْبُ وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْكِبْرِ وَهُوَ اِسْتِعْظَامُ النِّعْمَةِ الَّتِي بِهَا وَهُوَ الرُّكُونُ إِلَيْهَا مَعَ نِسْيَانِ إِضَافَتِهَا إِلَى الْمُنْعِمِ، وَدَوَاءُهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا يُرِيدُ أَنْ يَتَعَجَّبَ بِهِ لَيْسَ فِعْلًا لَهُ بَلْ فَضْلٌ مِنَ الله يَجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُهُ، وَمِنْهَا الْغُرُورُ قَالَ اللهُ- تَعَالَى-: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [المؤمنون 23] وَالْغُرُورُ نَوْعٌ مِنَ الْجَهْلِ وَهُوَ سُكُونُ النَّفْسِ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْهَوَى وَيَمِيلُ إِلَيْهِ الطَّبْعُ لِأَجْلِ شُبْهَةِ

وَخدعة مِنَ الشَّيْطَانَ فَكُلُّ مَنِ اِعْتَقَدَ أَنَّهُ خَيْر لِشُبْهَةٍ فَمغْرُور وَأَكْثَرَ النَّاس يَظُنُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ الْخَيْرِ وَهُمْ مُخْطِئُونَ مَغْرُورُونَ عَلَى اِخْتِلَاف درجاتهم لَكِنَّ غُرُورَهُمْ أَظْهَرِ وَأَشَدُّ غُرُورًا الْكُفَّارِ اِغْتَرُّوا بِزِينَةَ الدُّنْيَا فَاخْتَارُوهَا عَلَى الْآخِرَةِ لِشُبْهَةٍ أَنَّهَا مُعَجَّلَةَ وَالْآخِرَةُ مُتَأَخِّرَةُ وَالنَّقْدُ أَوْلَى مِنَ النَّسِيئَةِ، ثُمَّ غُرُور الْعُصَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِ الشَّيْطَانِ إِنَّ اللهَ كَرِيم يَغْفِرَ لَكَ فَحَسَّنَ لِهُمْ الشَّيْطَانُ تَمَنِّيهُمْ بِتَسْمِيَتِهِ رَجَاءِ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الرَّجَاءُ مَا قَارَنَهُ الْعَمَلُ وإلا فَأُمْنِيَّةٌ مَذْمُومَةٌ وَأَصْنَافُ الْمُغْتَرِّينَ أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: مِنَ اِغْتَرَّ بِالْعَلْمِ كَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَحْكَمُوا الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ وَأَهْمَلُوا حِفظَ الْجوَارِحُ عَنِ الْمَعَاصِي وَإِلْزَامِهَا الطَّاعَةِ فَاغْتَرُّوا بِعِلْمِهِمْ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مِنْ عِنْدَ اللهِ بِمَكَانٍ لَا يَعْذِبَ مِثْلُهُمْ بَلْ يَقْبَلُ فِي الْخُلْقِ شَفَاعَتهُمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَلَا قِيمَةُ لِعِلْمٍ بِلَا عَمَلٍ، وَمِنهُمْ مِنْ عَمَلِ بِالْعِلْمِ ظَاهِرًا لَكِنَّ لَمْ يَتَفَطَّنْ لَمَّا فِي الْقُلْبِ مِنَ الْكِبْرِ وَالْحُسْدِ وَحَبّ الرياسة وَإِرَادَة السُّوءِ لِلْأَقْرَانِ، وَمِنهُمْ مِنْ تَفَطَّنِ لِذَلِكَ لَكِنهُمْ لِعَجَبِهِمْ يَظُنُّونَ أَنَهُمْ اِنفكُوا عَنا وَأَنَهَا أَرْفَعَ عِنْدَ اللهِ أَنَّ يَبْتَلِيهِمْ بِذَلِكَ وَإِنَّمَا يَبْتَلِي بِهِ الْعوَامُ فَإِذَا ظُهِرِ عَلَيهِمْ عَلَامَاتُ الْكِبْرِ وَحَبّ الرياسة بِاسْتِعْمَالِ الثِّيَابِ الرَّفِيعَةِ وَالْمَجَالِسِ الْحَسَنَةِ قَالُوا مَا هَذَا حَبّ رياسة بَلْ إِنَّمَا نَطْلُبُ بِذَلِكَ عِزّ الدِّينُ وَإِظْهَارُ شرَفُ الْعَلْمِ وَإِرْغَام أُنوفِ الْمُخَالِفِينَ فَلَوْ لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ لِكَانَ ذِلًّا عَلَى الْإِسْلَام وَلِفَرَحِ بِهِ أَعْدَاءُ الدِّينِ، وَلَوْ يَعْلَمَ الْمَغْرُورُ أَنَّ الشَّيْطَانُ الَّذِي هُوَ عَدُوهُ يَفْرَحُ بِفِعْلِهِ وَنَسَى أَنَّ الرَّسُولُ الَّذِي نُصِرَ الدِّينُ لَمْ يُرَاع ذَلِكَ وَكَذَا الصَّحَابَةِ وَهُمْ أَنْصَارُ الدِّينِ حَتَّى قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخُطَّابِ ﷺ لِمِنْ أَرَادُ مَا غَرّ هَذَا الْمَغْرُورَ إِنا قَوْمَ أَعَزَّنَا اللهِ بِالْإِسْلَام فَلَا تَطْلُبُ الْعِزّ مِنْ غَيْرِهِ ثُمَّ إِنْ هَذَا الْمَغْرُور يَطْلَبُ عِزّ الدِّينِ بِالثِّيَابِ الرَّفِيعَةِ وَالْمَرَاكِبِ النَّفِيسَةِ وَالْمَجَالِسِ الْحَسَنَةِ وَهَيْهَاتَ وَكَذَا مَهْمَا أَطْلَقَ اللِّسَانُ بِالْحُسْدِ فِي أَقْرَانِهِ أَوْ فِي مِنْ رَدّ عَلَيهِ شَيْئًا لَمْ يَظُنّ أَنْ ذَلِكَ حُسْدٌ بَلْ يَقُوْلُ إِنَّمَا هَذَا غَضِبَ الْحُقِّ وَرَدٌّ عَلَى الْمُبْطِلِ حَتَّى يَظُنُّ أَنَّهُ لَوْ طَعْنٌ فِي غَيْرِهُ أَوْ مَنَعَهُ

مِنْ رياسة كَانَ غَضِبًا لله وَلَوْ جَاءَهُ مَالٌ مِنَ السُّلَاطِينِ الظَّلَمَةِ وَخطر لَهُ أَنَّهُ حَرَامٌ قَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ هَذَا مَالٌ لَا مَالِكَ لَهُ وَهُوَ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْتَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ وَعَالِمُهُمْ وَبِكَ قِيَامُ الدِّينِ فَيَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ قَدْرَ حَاجَتِكَ فَيَغْتَرُّ بِهَذَا التَّلْبِيسِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَنَّ هَذَا السُّلْطَانَ بِأَخْذِ الْخَرَاجِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ أَحْيَاءٌ أَوْ وَرَثَتُهُمْ أَحْيَاءُ وَغَايَةُ الْأَمْرِ وُقُوعُ الْخَطَأِ فِي أَمْوَالِهِمْ فَلَا خِلَافَ أَنَّهُ حَرَامٌ وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ مَا يَفْسُدُ بِذَلِكَ الْأَخْذِ فِي الدِّينِ لَا يُحْصَى فَهُوَ عَلَى التَّحْقِيقِ دَجَّالُ الدِّينِ وَقِوَامُ مَذْهَبِ الشَّيْطَانِ لَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْهُمْ مَنِ اقْتَصَرُوا عَلَى عُلُومِ الْفَتْوَى فِي الْفَتْوَى فِي الْحُكُومَاتِ وَلَمْ يَشْتَغِلُوا بِإِصْلَاحِ بَاطِنِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنِ اشْتَغَلَ بِالْوَعْظِ يَتَكَلَّمُونَ فِي صِفَاتِ الْقَلْبِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالشُّكْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ فَاغْتَرُّوا أَنَّهُمْ لَمَّا صَارُوا يَتَكَلَّمُونَ لِلْخَلْقِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فَهُمْ بِهَا وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ منفكون عَنْهَا، وَمِنْهُمْ مَنِ اشْتَغَلُوا بِعِلْمِ لِسَانِ الْعَرَبِ وَحَقَّرُوا غَيْرَهُمْ بِأَنَّهُمْ جهالا الْحانُونَ.

الثَّانِي: الْعُبَّادُ وَهُمْ فِرَقٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَهْمَلَ الْفَرَائِضَ وَاشْتَغَلَ بِالْفَضَائِلِ وَالنَّوَافِلِ يَفِرُّ مِنَ النَّجَاسَاتِ الْمُحْتَمَلَةِ فِي الْمَاءِ وَالْبَدَنِ وَالثَّوْبِ وَرُبَّمَا أَكَلَ الْحَرَامَ الْمَحْضَ وَلَوِ انْقَلَبَ احْتِيَاطُهُ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الْحَرَامِ لَكَانَ أَشْبَهَ بِسِيَرِ الصَّحَابَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْتَرَّ بِالْحَجِّ مَعَ غَيْرِ خُرُوجٍ عَنِ الْمَظَالِمِ وَقَضَاءِ الدُّيُونِ وَيَتَعَرَّضُونَ لِضِيَاعِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْفَرَائِضِ مَعَ سُقُوطِ الْحَجِّ عَنْهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ حِرْفَتُهُ لِطَلَبِ الرياسة فَإِذَا فَعَلَ مُنْكَرًا وَرَدَّ عَلَيْهِ غَضِبَ وَقَالَ أَنَا الْمُحْتَسِبُ فَكَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ وَيَأْتِي بِالتَّأْوِيلِ وَيُقَوِّلُ أَنَا اعْلَمْ مِنْكَ فَهُوَ مَغْرُورٌ، وَمِنْهُمْ مَنِ اغْتَرَّ بِمُجَاوَرَةِ مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مَعَ التَّلَوُّثِ فِي الذُّنُوبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ زُهِّدَ فِي الْمَالِ وَاللِّبَاسِ وَالطَّعَامِ وَرَضِيَ بِالدُّونِ وَمَعَ ذَلِكَ راغِبٌ فِي الرياسة وَالْجَاهِ فَقَدْ تَرَكَ أَهْوَنَ الْأَمْرَيْنِ وَفَتَحَ أَعْظَمَ الْمُهْلِكَيْنِ فَأَخْذُ الْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْجَاهِ.

الثَّالِثُ: الْمُتَصَوِّفَةُ وَمَا أَغلبُ الْغُرُورِ عليهِمْ، فَمِنهُمْ مِنْ اغْتَرَّ وَأَبْدَى الصُّوفِيَّةَ وَاصْطِلاحَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ الظَّاهِرَةِ فِي السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ أَوْ إطراق الرَّأسِ وَإدْخالِهِ فِي الْجَيْبِ كالمتفكر وَتَنَفُّسَ الصُّعَدَاءُ وَخُفِضَ الصَّوْتُ فَاغْتَرُّوا بِذَلِكَ مَنْ غَيْرِ رِيَاضِيَّاتٍ وَمُرَاقِبَاتٍ وَمِنهُمْ مِنْ يَدَعَ الْمَعْرِفَةَ وَمُشَاهَدَةُ الْحَقِّ وَمُجاوَزَة الْمَقَامَاتِ وَلا يَعْرِفُهَا إلا بِالأَسَامِي وَالأَلْفَاظِ إلا أنَّهُ تَلَقَّفَ مِنْ أَلِفَاظِ الشُّيُوخِ كَلِمَاتٍ يُرَدِّدُهَا وَيَدَّعِي أَنَهَا أَعلَى عِلْم الأَوْلَيْنِ والآخرين يَنْظُرُ إِلَى الْعُلَمَاءِ بِعَيْنِ الإزراء فَضْلا عَنِ الْعَوَام حَتَّى أَنَّ الْفَلاحَ يَتْرُكَ فِلاحَتُهُ وَالْحَائِكُ حِيَاكَتَهُ فَيُلازِمُهُ أياما لِلْبَرَكَةِ يُوهِمُهُمْ أنَّهُ يَخْبَرُ عَنِ الأَسْرَارِ وَأَنَّهُ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَهُوَ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْفُجَّارِ الْمُنَافِقِينَ وَأَنْوَاعِهِمْ لا تُحْصَى وَالْمَقْصُودُ التَّحْذِيرُ.

الرَّابِعُ: أَرْبَابُ الأَمْوَالِ فَمِنهُمْ مِنْ أَغْتَرَّ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ بِهَا وَالْمَدَارِسُ وَالرِّبَاطَاتُ لِيَخْلُدُ بِذَلِكَ إِسْمُهُ وَيُبْقِي بَعْدَ الْمَوْتِ أَثرُهُ وَقَدْ أَكْتَسِبُهَا مِنَ الْحَرَام، وَالشُّبُهَاتِ وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيهِ التَّوْبَةَ وَرَدَّهَا إِلَى أَرْبَابِهَا إِنْ أَمْكَنَ وإلا فَعْلَيَ الْفُقَرَاءُ وَمِنهُمْ مِنْ أكتَسِبهَا مِنَ الْحَلالِ وَأَنْفَقَهَا عَلَيَّ مَا مُرُّ رياء وَحُبُّ ثَنَاءٌ، وَمِنهُمْ مِنْ يُعْطِي الأَمْوَالَ مِنْ يَخْدُمُهُمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَيَتَرَدَّدُ فِي حاجاتهم يَكْسُونَهُمْ وَيَحْمِلُونَهُمْ لِذَلِكَ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ أطاعُوا الله بِذَلِكَ، وَمِنهُمْ مِنْ أَغْتَرَّ بِحُضُورِ مَجَالِسِ الْوَعْظِ وَتَخْصِيصِهِمْ بِالصَّدقةِ لِيَعْرُفُوهُمْ وَاعْتَقَدُوا أَنَّ حُضورَ مَجْلِسِ الْوَعْظِ فَقط يُنْجِيهِمْ فَلا يُفَوِّتَهُم وَعْظُ يَظُنُّونَ أَنْ لِهُمْ أَجْرًا عَلَيَّ سَمَاعِ الْوَعْظِ دُونَ الْعَمَلِ وَهُوَ غُرُورُ وَالْمَغْرُورُونَ لَا يَحْصُونَ وَالله الْمُوَفِّقِ. خَاتِمَةٌ: فِيمَا يُنْجِي الإِنْسَانُ بِهِ مِنَ الْغُرُورِ وَهُوَ ثَلاثَةُ أُمُورِ:

الأَوَّلُ: الْعَقْلُ أَيُّ النُّورِ الأَصْلِيِّ الْغَرِيزِيِّ الَّذِي بِهِ دَرَّكَ حَقَائِقُ الأَشْيَاءِ فَالْبَلِيدِ لا يَخْرُجَ مِنَ الْغُرُورِ فَصَفَاءِ الْعَقْلِ لَا بُدَّ مِنهُ.

الثَّانِي: الْمَعْرِفَةُ بِرَبِّهِ وَبِنَفْسهُ وَبِالدُّنْيَا وَبِالآخِرَةِ يَعْرُفُ رَبَّهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَنَفْسهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالدُّنْيَا بِالْغَوائِلِ وَسَرِعَةِ الزَّوَالِ فَيَتْرُكُهَا وَالآخِرَةُ بِالدَّوَامِ فَيَطْلُبُهَا.

وَمِنْ الْعِبَادَاتِ آدَابَ الشَّرْعِ فِيهَا وَمَنْ الْمُهْلِكَاتِ كَيْفِيَّةَ الْخُرُوجِ مِنْهَا وَمِنْ الْمُنْجِيَاتِ كَيْفِيَّةَ نَيْلِهَا فَإِذَا أَحَاطَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ أَمْكَنَهُ الْحَذَرُ مِنَ الْغُرُورِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَصْلٌ فِي تَحْلِيَةِ الْقَلْبِ بِالصِّفَاتِ الْمُنْجِيَاتِ:

وَمِنْهَا التَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهُ كتَرْكِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ وَالْكَفَّارَاتِ فَيَقْضِي مَا أَمْكَنَهُ مِنْهَا وَكَأَكْلِ الرِّبَا وَضَرْبِ الْمَزَامِيرِ فَيَنْدَمُ عَلَيْهَا وَيَنْوِي أَلَا يَعُودَ إِلَيْهَا وَالَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادَاتِ مَا فِي النَّفْسِ أَوْ فِي الدِّينِ وَفِي الْمَالِ أَوْ فِي الْعِرْضِ وَالْحُرْمَةِ فَيَسْتَحِلُّ مَا أَمْكَنَ وَمَا لَمْ يُمْكِنْ رَجَعَ فِيهِ إِلَى اللهِ لِيُرْضِيهِ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمِنْهَا إِخْلَاصُ النِّيَّةِ فِي جَمِيعِ مَا يَعْمَلُ وَالْإِخْلَاصُ فِيهِ وَالصِّدْقُ فِي الْعُبُودِيَّةِ. وَمِنْهَا الزُّهْدُ عَنِ الدُّنْيَا بِفَرَاغِ الْقَلْبِ عَنْ طَلَبِ الْمَالِ وَالْجَاهُ وَيَكُونُ بِتَرْكِ طَلَبِ الْمَفْقُودِ تَفْرِيقِ الْمَجْمُوعِ غَيْرَ الضَّرُورِيِّ، وَمِنْهَا التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَأُخْرَيْ فِي أَمْرِ الرِّزْقِ، وَمِنْهَا تَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَى اللهِ فِي حُفَظِ مُصْلِحَتِهِ مَالًا يَأْمَنُ فِيهِ الْخَطَرَ، وَمِنْهَا الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ بِتَرْكِ السُّخْطِ فِي كُلِّ مُصِيبَةٍ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِيَ قَلْبَهُ، وَالْمُحِبَّةُ للهِ وَفِي للهِ وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَاءِ اللهِ وَالصَّبْرُ عَلَيَّ بَلَائِهِ وَالشُّكْرِ لِنِعَمِهُ وَالْخَوْفُ مِنْ عَذَابِهِ وَالرَّجَاءِ مِنْ رحمتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ فِي الْأَنْفَاسِ وَاللَّحَظَاتِ وَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ وَالتَّفَكُّرِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَحْمُودَةِ وَفَّقَنَا اللهُ لِلْعَمَلِ بِهَا. خَاتِمَةٌ: فِيمَا يَنَالُ بِهِ الْفَضْلُ عِنْدَ اللهِ وَاعْلَمِ أَنْ مَا يَنَالُ بِهِ الْفَضْلُ عِنْدَ اللهِ شَيْءٍ وَمَا يَنَالُ بِهِ الشُّهرةُ عِنْدَ النَّاسِ شِيءَ آخِرُ وَمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءِ:

الْأَوَّلُ: عِلْمٌ مَعَ عَمَلٍ وَهُوَ عِلْمُ طَرِيقِ الْآخِرَةِ الَّذِي قَدَّمْنَا. الثَّانِي: عِلْمَ فِقْهُ كَعِدْلِ السُّلْطَانِ مَثَلًا وَضَبْطُهُ لِلنَّاسِ. الثَّالِثُ: عِلْمَ مُجَرَّدٌ وَهُوَ عِلْمَ الْمُكَاشَفَةُ الَّذِي هُوَ الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ قِسْمِي الْعِلْمِ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ نَورٍ يَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ عِنْدَ تَطْهِيرِهِ

مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ وَتَحْلِيَتِهِ بِالْمَحْمُودَةِ فَيَنْكَشِفُ عَنْ ذَلِكَ النُّورِ أُمُورٌ كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلُ أَسْمَاؤُهَا أَوْ يَتَوَهَّمُ لَهَا معان مُجْمَلَةٌ غَيْرِ مُتَّضِحَةٍ فَتَتَّضِحُ إِذْ ذَاكَ حَتَّى تَحْصُلَ الْمَعْرِفَةُ الْحَقِيقَةُ بِذَاتِ الله وصفاته وَأَفْعَالِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي خَلْقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَوَجْهِ تَرْتِيبِهِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْمَعْرِفَةُ بِمَعْنَى النُّبُوَّةِ وَالنَّبِيِّ وَمَعْنَى الْوَحْيِ وَمَعْنَى لَفْظِ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّيْطَانِ وَكَيْفِيَّةِ مُعَادَاةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ وَكَيْفِيَّةِ وُصُولِ الْوَحْيِ إِلَيْهِمْ وَالْمَعْرِفَةُ بِمُلْكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَعْرِفَةِ الْقَلْبِ وَكَيْفِيَّةِ تَصَادُمِ جُنُودِ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّيْطَانِ وَمَعْرِفَةِ بَيْنَ لَمَّةِ الْمَلَكِ وَلَمَّةِ الشَّيْطَانِ وَمَعْرِفَةِ الْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ وَالْحِسَابِ وَمَعْنَى قوله تَعَالَى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ وَمَعْنَى لِقَاءِ الله وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَمَعْنَى الْقُرْبِ مِنْهُ وَالنُّزُولِ فِي جِوَارِهِ وَمَعْنَى حُصُولِ السَّعَادَةِ وَمُرَافَقَةِ الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَمُقَارَبَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ.

وَمَعْنَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ تَفْصِيلُهُ إِذْ لِلنَّاسِ فِي مَعَانِي هَذِهِ الْأُمُورِ بَعْدَ التَّصْدِيقِ بِأُصُولِهَا مَقَامَاتٌ وَنَعْنِي بِعِلْمِ الْمُكَاشَفَةِ أَنْ يَرْتَفِعَ الْحِجَابُ حَتَّى يَتَّضِحَ جَلِيَّةُ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ اتِّضَاحَا مَجْرَى الْعِيَانِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَهَذَا مُمْكِنٌ فِي جَوْهَرِ الْإِنْسَانِ لَوْلَا أَنَّ مِرْآةَ الْقَلْبِ قَدْ تَرَاكَمَ صَدَأُهَا وَحُجِبَتْ بِقَاذُورَاتِ الدُّنْيَا لِأَنَّ الْقَلْبَ مُسْتَعِدٌّ لِأَنْ يَنْجَلِيَ فِيهِ حَقِيقَةُ الْحَقِّ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَإِنَّمَا حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بِالْحِجَابِ الْمُرْسَلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ الَّذِي نُقِشَ فِيهِ جَمِيعُ مَا قَضَى الله بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَجَلِّي حَقَائِقِ الْعُلُومِ فِي مِرْآةِ اللَّوْحِ يُضَاهِي انْطِبَاعُ صُورَتِهِ فِي مِرْآةِ تُقَابِلُهَا وَالْحِجَابُ يَزُولُ بَيْنَ المرآتين تَارَةً عِنْدَ الْمَنَامِ فَيَعْلَمُ بِهِ مَا يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَتَمَامِ الِارْتِفَاعِ بِالْمَوْتِ فِيهِ يُكْشَفُ الْغِطَاءُ وَيَكُونُ تَارَةً فِي الْيَقْظَةِ بِلُطْفٍ مِنَ اللهِ فَيَرْتَفِعُ الْحِجَابُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فيرى الْأَشْيَاءَ فِيهِ وَيَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ فِيهِ مِنْهُ فيستغنى عَنِ الِاقْتِبَاسِ مِنْ دَاخِلٍ

الْحَوَاسِّ فَيَكُونُ ذَلِكَ كَتَفَجُّرِ الْمَاءِ مِنْ عُمْقِ الْأَرْضِ فَلِلْقَلْبِ بَابَانِ بَابٌ مَفْتُوحٌ إِلَى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَعَالَمُ الْمَلَائِكَةِ وَبَابٌ مَفْتُوحٌ إِلَى الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ الْمُتَمَسِّكِ بِعَالَمِ الْمُلْكِ وَالشَّهَادَةِ فَانْفِتَاحُ الْقَلْبِ إِلَى اقْتِبَاسٍ مِنَ الْحَوَاسِّ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ وَأَمَّا انْفِتَاحُ بَابِهِ الدَّاخِلِ إِلَى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَمُطَالَعَةِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَتَعْلَمُهُ مِنْ عِلْمِ عَجَائِبِ الرُّؤْيَا وَيَفْتَحُ اللهُ لِمَنْ انْفَرَدَ بِذِكْرِ اللهِ بِفَضْلِ اللهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ رَزَقَنَا اللهُ تَعَالَى عِلْمَ أَوْلِيَائِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. وَهَذَا آخِرُ مَا أَرَدْنَا جَمْعَهُ مِنْ ضِيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ، وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ كِتَابَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَلَاثَةٍ بَقِيْنَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ جِدٍّ شُكْرًا وَهِيَ ثَمَانٌ وَعِشْرُونَ وَمِئَتَانِ بَعْدَ أَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ بِجَاهِهِ عِنْدَكَ وَارْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَامَّةً آمِينَ.